نور

قِصَصُهُنَّ

مجموعة قصص قصيرة

جميع القصص حقيقية

ولا تمت للواقع بصلة

الطبعة الأولى

٢٠١٧

جميع الحقوق محفوظة

دار نور للنشر -العراق

الطبعة الاولى
٢٠١٧

يمنع طباعة او تصوير هذا المنشور بأية طريقة كانت الكترونية او ميكانيكية او تصويرية او غيرها دون الرجوع الى الناشر وبأذن خطي مسبق وبخلاف ذلك يتعرض الفاعل للملاحقة القانونية

رقم اصدار الكتاب في الدار-٩

قصصهنّ

جميع الحقوق محفوظة

دار نور للنشر

الطبعة الاولى

٢٠١٧

رقم اصدار الكتاب في الدار ٩

رقم ايداع الكتاب ٣٩٧٦

- Dar Noor

قصصهن

مجرد كلمات كتبتها نور

الاهداء

لها فقط اهدي كل شيء حتى روحي فهي اساساً حياتي لأمي ..
كوني انانية قليلاً
اهتمي بنفسك
اخرجي من البيت لا لشراء اشياء لهم بل من اجلكِ
انظري للسماء ادعي واطلبي احلامكِ لا احلامهم
اذهبي للمطبخ واطبخي ما تحبي لا ما يحب ذاك
ويرغب هذا
خذي مرتب العمل
وفكري بشراء شيء نسيته منذ زمن
واجلته مراراً من اجل شراء احلامهم
كفاكِ نسياناً لشخصكِ لروحكِ لأسمكِ
متى اهتموا هم ، متى سألوا ماذا تحبي ؟
متى اهدوكِ ابتسامة او فرح
تحملتِ المشاكل والخيبات واللعنات
هل سمعتِ احبكِ او شكراً
اعلم انكِ لا تنتظري تلك الكلمات
لكن كوني انانية قليلاً
جربي ان تفعلي ان تكوني كذلك

اهداء لـ امي ومعلمتي وقدوتي
طفلتك المدللة نور

في اول الكتاب احب ان اعتذر لهنّ

لمن لم اكتب قصصهنَّ
اعتذر لمن تستيقظ صباحاً توقد النار والكلاب لازالت
موجودة تذهب الى الحقل بيديها المشققة المتعبة
اعتذر كثيراً للجميلة الغارقة في التعب والاطفال حولها
يطالبون وهي مريضة وما زالت تعطي وتعطي
اعتذر للمريضة التي لا تملك ثمن الدواء ولتلك الممنوعة من
الاطباء
اريد ان اخبركم ان اليوم وفي هذا الزمن هناك امرأة لا يسمح
لها زوجها بمراجعة الطبيب ولتتحمل الالم ولتمت!
ثم اعتذر واعتذر لتلك التي خانها وطنها والزمن وشردتها
الحياة فأخذت من الصخور مسكنا ومن النفايات طعاماً
اعتذر لهنّ من الزمن القاسي والحياة الجاحدة
قصصهنّ القادم من اجلكن.

بلا اسم او عنوان

ممددة على الارض احست ببرودة تلتهم جسدها ، تهز اعضائها ، جلست ضمت ركبتيها الى صدرها ، وضعت يديها الملطخة باللون الاحمر عليهم، خيط من الدماء يبدأ منها ويرسم اثره على الارض ...
نظرت لذلك الطفل المخنوق بحبله السري ، لم يبلغ عمره ثواني حتى ترك الحياة وعاد من جديد الى خالقه ،
لاحت بعينيها دمعة حركت رأسها ولم تدعها تسقط وتتغلب عليها قالت لا لن ابكي ، وضعت رأسها على ركبتيها واحاطته بيديها ،وقالت بصوت كئيب يشبه حالها الاقرب الى الموتى ،
لن اسامح الايام
لن اسامح ابي و لا حتى امي
الجميع خونة .
نظرت في الفراغ من غير ان ترى شيئاً، مسحت جبهتها بيدها فرسمت الدماء التي لم تتخثر على الجبهة خطاً عريضاً،
سمعت صوتاً ، بحثت عن صاحبه لم تجده،
وبدأت اصوات اخرى تحدثها ،

لكنها اصغت لذلك الصوت البعيد هي تذكره وتعرفه جيداً يقول
-يا طفلتي لا تتزوجي رجلاً كـ أبيك ، انتِ تشاهدين افعاله ،
واذا به يدخل ، يصرخ اين الطعام؟
-ها هو جاهز تفضل
وضعته فضرب امها على رأسها ، قائلاً
-ابتعدي عني يا قذرة ، لا تكرّهيني بالطعام.
واذا بـ شاب يدخل تواً وقف بالقرب من الباب ، يضحك بقوة على اهانة والده لأمه !
والاخرى تنسحب بكل هدوء وتبتعد ...

يلتهم الطعام كالحيوان المفترس ، لا رحمة في قلبه و لا شبع في معدته ،
جلس الشاب يأكل مع ابيه ، حصل على بعض الطعام الذي ابقاه المفترس الكبير ،
اما الاثنان الواقفتان هناك ، معدتهن تلتهم عصارتها، لم يتناولن طعام منذ ايام ، يعشن على فتات ما يتبقى من تلك الحيوانات الجائعة ، لكن احياناً حتى فتات لا يبقى!
المشكلة انهن الصائدات حصلن على المال لشراء الطعام من خدمتهن وعملهن ليلّتهم هذا وذاك وياموا ويخرجوا فرحيين ببطون مملوءة ويجلسون في المقاهي ويمتعوا انفسهم
انتهى الحيوان الكبير من طعامه فأرادت الفتاة ان تجلس مكانه ، سحبها اخيها من شعرها وابعدها عن الطعام ، مسكت شعرها لتقلص حجم الوجع وبكت كثيراً حتى جفت عينيها كما جفت معدتها ، ودمائها التي بدأت تقل وتخفق في ان تزود اجزاء جسدها بالكمية المناسبة ، الجلد احتضن العظم لا فاصل بينهما، العيون الجميلة ذابلة ، البشرة جافة...
يذهب الاب ليغسل يديه
وهو يضحك يقول
-سنتخلص من واحدة اليوم اخبرني صديقي انه يريد ان يزوج ابنه، وقد اختارها (التفت لأبنته واشار بعينه رافعاً حاجبه الايمن ثم تابع وحول نظره لزوجته
-هذه سنتخلص منها بعد ايام ، انتِ متى تنتهي حياتك ؟
قالت الام تحدث نفسها
-ومن سيطعمك يا كلب ؟
هزت رأسها ، قائلة محالاً ان يشبه هذا الكلب ،
حرام ان اتهم الكلب الوفي المسكين واشبههُ بهذا الوحش!
اصغت الفتاة للكلام ولم تقل كلمة ،
اخذت الصحون لتغسلها ، وارادت ان تفعل كما كل يوم تمسح

بأصبعها بقايا الطعام ، فلم تستطع ، لا تعلم هل ازعجها الخبر ،او انها يجب ان تفرح ، بحثت لا ارادياً على الصحون و بينها عن قطعة خبز متبقية فلم تجد ،
اساساً هي لا تريد ان تأكل بعد ان سمعت ما قاله ابيها.
شعرت ان معدتها تنقلب وعصارتها المرة وصلت فمها ،
هي اعتادت الجوع ربما يستغرب جسدها ان زاره الطعام فجأة،
اذاً هي لا تشعر بالجوع ، لماذا تشعر بألم في بطنها ؟ !
فتحت صنبور الماء بدرجة قليلة جداً لكي لا تصرف الكثير
جمعت القليل في اناء واغلقته بينما تغسل الصحون ، اخذت قطعة قماش كانوا قد خصصوها لتنظيف الصحون وضعت عليها قليل من مسحوق الغسيل ، وبينما هي تعمل حدثها عقلها سائلاً
-هل ستوافقين؟
اجابت
-لا اريد ان اتعذب اكثر هو بالتأكيد سيشبه ابي واخي
ورأت صورة اباها تلك الليلة حينما عاد وكانت امها تطبخ الطعام ومن غير اي سبب يذكر حمل قطعة حديد كبيرة وضربها على رأسها وسال الدم حتى غرق الرأس به وبعض الجسد، وثم ضربها على قدمها حتى كسرت ، ورمى الطعام الذي غطى الارض !
حينما اخذها بعض الجيران للطبيب، الذين اسرعوا للبيت بعد ان سمعوا صراخ الاطفال ونحيبهم !
تعجب الطبيب لما رأى وقال سائلاً
-من ضربها هكذا ، محال ان يكون بشراً!
منذ تلك الليلة اصبح حيواناً ، هو كان حيواناً من الاساس لكن الطبيب اشار لذلك الاسم ، كانت تبكي وترى امها تنازع الموت.
فقالت مكررة لا لا لن اوافق
رد عقلها بعد ان سمع نفيها

- في مجتمعك هذا وفي حالتك هذه لا يكون لكِ سوى اختيارين اما الزواج او الزواج وحتى لو كان هناك اختيار ثالث فسيكون كذلك الزواج...
- لا اعلم ما الطريق ، وكيف اكمل واسير به؟
وانا لا اعلمه !
انا لا استطيع ان ابقى مع عائلتي واتحمل ،
ولا استطيع ان اختار حيواناً من هؤلاء الرجال الذين لا يهمهم سوى اشباع بطونهم وشهواتهم ،
كيف امضي والمجتمع سخيف قذر لا يتركك .
لا استطيع ان احمل نفسي ذنباً بأنجاب اطفال ابرياء ليعيشوا هذه الحياة الخائنة ويشوههم المجتمع فيما بعد ...
-اذن اقبلي بحيوان جديد ، ربما يكون افضل
-لا محال ، وكما تعلم ان حيوان تعرفه افضل من حيوان لا تعرفه .

مساءً الساعة الرابعة والنصف وصل الضيوف اب وابنه ، كان يشبههم كما هم كل الحيوانات الذين تعرفهم يرتدي بنطلون وقميصاً ، لكنه حيواناً مرتباً لا اكثر ، انيقاً ، جميلاً ايضاً،
كل هذا لا يمنع من انه حيوان كذلك،
سلموا ، جلسوا وضحكوا كثيراً كعادتهم ،
دائماً يضحكون كلما التقوا جميع الحيوانات هكذا هم يفرحون ،يبتسمون دائماً ،
الحياة بجانبهم دائماً ، واكاد اجزم انهم في الجنة كذلك
سيكونون سعداء في الاخرة ولن يعاقبوا ونحن سنعاقب جزاءً على اعمالهم السيئة ، سنتحمل عواقب اعمالنا واعمالهم !
يا لـ هنأنا !
ضحكاتهم تخنقها كما دخان سجائرهم ،

لم تكن مخيرة بين الرفض والقبول ،
كان القبول جواباً قبل ان يُسمع رأيها ،
اتفقوا ، احتفلوا وغادروا ...
قال والدها موعد الزواج بعد اسبوعين
-بعد اسبوعين!
-نعم
-كيف ونحن لا نملك شيئاً
- يأخذكِ هكذا ، لا شيء نحتاج لفعله ،
ارادت ان تكمل وتسأل ، قال لها
-اصمتي واذهبي من هنا والا تحولتِ بثواني لجثة ...
مضت تتمتم
اين هي الروح التي تعتقد انها في جسدي لأصبح جثة بعد رحيلها ، الا ترى انني جثة ؟!
حاولت ان تتكيف وتغير تفكيرها وتقتنع ان ذلك الحيوان ربما يكون افضل ..!

يوم الزواج ليلة الافتراس
القضاء النهائي على هذه الفريسة المتعبة ، المريضة،
الزواج هو الضربة القاضية في حياة كل انثى فهي تمضي حياتها في حلبة مصارعة عدة جولات تمر بها ويتم القضاء عليها واعلان هزيمتها حين الزواج تنتهي هي وينتهي وجودها واسمها ...
فجراً اليوم الاول للزواج
يد تضرب رأسها ويصرخ صاحبها انهضي
- ما الذي يحدث
-حضري الفطور
-حسناً، كم الساعة ؟

-انها الرابعة
-الرابعة!
-نعم
-الى اين تذهب في هذه الساعة؟!
-الامر لا يعنيكِ
نهضت وعيونها مغلقة وقالت لعقلها تعاتبه
ألم اقل لك حيواناً تعرفه افضل من اخر لا تعرفه!
كنا نستيقظ في الثامنة اما الان الرابعة لتتحمل ايها الذكي .
حضرت الفطور ، اكمل طعامه ، ثم عاد لينام وطلب منها ايقاظه عند التاسعة
-التاسعة!
ولماذا فطرت الان؟
-يعجبني ان افعل هذا، هناك ملابس اغسليها
اشار للحمام ، واصمتي الان اريد النوم،
هناك اصمتي وهنا اصمتي لا اعلم هل صوتي مزعج ،
او هم لا يجدون مبرراً لأفعالهم الحمقى!
ذهبت للحمام لترى كوم من الملابس القذرة ورائحة نتنة تنبعث منها ، منذ متى لم تُغسل هذه الملابس؟
وما هذه الكمية ، هو شخص واحد !
في صباح الزواج في اول يوم من الشهر المر ما يسموه شهر العسل، تغسل الملابس بيديها المتعبتين ، وعيناها تحارب النعاس ، اكملت الغسيل بعد اربع ساعات كانت كمية الملابس كبيرة جداً واوساخها تفوقها ،
ارادت ان تستريح لكنها لا تستطيع عليها ايقاظه في الساعة التاسعة ، بقيت مستيقظة يغلبها النعاس بين فترة واخرى حتى جاءت التاسعة ، ، ايقظته .
نظر الى الساعة فصرخ بها قائلاً
-يا قذرة كيف تيقظيني الان ؟!

تأخرت عن العمل .
قالت بـ أرتباك وقلبها يكاد ينفجر خوفاً وحقداً
-انت اخبرتني الساعة التاسعة
-وانتِ بذكائكِ لم تفكري اني يجب ان استيقظ قبل موعد العمل بدقائق لكي استحم و ارتدي ملابسي !
-وانا من اين لي ان اعرف موعد عملك ؟
ضربها بقوة على رأسها ، سقطت ارضاً ، فقدت وعيها لثواني ، لم يهتم لها وذهب يغير ملابسه ،
وهو يغلق ازرار قميصه نظر لها وامرها ان تنظف حذائه ، فعلت ذلك ودموع عينيها تغسل الحذاء قبل سائل التلميع .
ربما تحصل هنا على بقايا اكل اكثر
لكن عذاب الجسد والروح كذلك اكثر!
بعد اسبوع ذهبت لزيارة والدتها ، اخذت لها بعض حصصها من الطعام ، حرمت روحها واخذته لأمها،
اخبرتها انها بخير وطلبت منها ان تخبأ الطعام ،
لم تقل شيئاً عن تصرفات زوجها الوحشية الحيوانية ،
فرحت الام لأجل طفلتها ، وبعد مغادرتها فتحت اناء الطعام لتأكل فهي لم تتذوق وجبة كاملة منذ زمن وما كادت تلمس يديها الطعام حتى فتح زوجها الباب وقال لها
-توقفي ما هذا
اخذ الطعام التهمه وضربها على عينها اليمنى قائلاً
-تأكلين و لا تذكريني ؟
مضت الفتاة تمشي بالشارع وهي فرحة لأنها اعطت امها طعاماً وستكون بصحة جيدة ،
وقالت سأبقى زوجة وفية ، مطيعة مهما فعل بي ..
وتحملت كما تحملت وصبرت امها...
كانت تظن ان في يوم ما سينفع صبرها واتقانها لعملها بنجاتها من الضرب المبرح الذي تتعرض له طوال اليوم ، والرعب

الذي تعيشه ،
حيث في يوم طاردها زوجها في البيت ليلاً وكان يحمل سكيناً ويريد فعلاً قتلها كانت نظرة الشر والاجرام واضحة في عينيه ، والخوف والارتباك واضحة في عينيها ورجفة جسدها ،
لا تعلم ما اصابه هو عادةً يضرب لكن ليس بهذه الحالة كأنه مجنون ، فقد عقله ، او تعاطى شيء ما ...
اختبأت في السطح واغلقت الباب عليها ، وبعد فترة نزلت وجدته قد نام، ما هذا الرعب الذي تعيشه في حياتها ،
وكيف لكائن ان يتحمل كل هذا ؟!
بينما هي في زيارة لوالدتها كانت متعبة الحال والصحة افرغت معدتها اكثر من مرة ،
اخبرتها امها انها ربما كانت حامل!
تخوفت لسماع الخبر لأنها تعلم ما هو زوجها ، وكيف سيعيش هذا الطفل ، لكنها سرعان ما تناست كل شيء وفرحت كثيراً حينما تأكدت من حملها .
عادت الى البيت ضاحكة المحيا ،
لكنها وجدت زوجها مع امرأة عارية في غرفتهم على فراشها ، تمالكت نفسها وخرجت من الغرفة ،
انتظرت خارج الغرفة ، لم يهتم لها اكمل ما كان يفعل ،ومن ثم خرج وخرجت بعده المرأة وقبلها واعطاها بعض المال ورحلت!
التفت الى زوجته بعد ان اغلق الباب وقال
-يجب ان تعتادي هذا كما اعتدتي فطور الرابعة صباحاً، لم يعد الامر ممكناً في مكان العمل !
-ولما تزوجت مني ، لماذا لم تتزوجها هي ؟
-هذه خُلقت للمتعة وانتِ خُلقت للزواج والتربية والتنظيف والتضحية، خـــــادمـــــة!
يا لطيف ما هذه النظرية ، كيف نطقها ، كيف اقتنع بها؟

اعتادت على الامر كما اعتادت على الضرب وكما قال كما اعتادت فطور الرابعة!
لكن ليس كل وجه هادئ وجسم مظهره سليم يعني ان الكائن والروح التي بداخله بأفضل حال!
ليس شرطاً ابداً ، كانت تنظف وتبتسم وتتحمل الضرب وتصبر على الخيانة ،
تذهب لأمها تمثل انها بخير ، وتساعدها في عمل البيت ، كانت تتعمد الذهاب لوالدتها في اوقات خيانته لها،
فلا تطيق المنظر وما يحدث واصواتهم وضحكه مع تلك ، وتقارنها مع افعاله معها وقسوته وكيف انه لا يضحك في وجهها مطلقاً ،
احد الايام عادت فوجدتها ما زالت هناك ، دخلت للمطبخ ولم تهتم لأمرهم وحينما ارادت تلك الانثى ان تخرج انحنى لقدمها والبسها حذائها ، بينما الاخرى في المطبخ تنظر لما حدث تمسك بيدها سكين من الجهة التي يُقطع بها ضغطت عليها حتى سالت الدماء من يدها ولم تشعر بها.
كيف يتصرف الحيوان بلطف ؟
هو لا يتصرف هكذا الا مع الذين يعرفون انه لا يستحق ان يعامل كـ ملك بل كـ حيوان ، حيوان فقط ، السوط ربما ينفع .
تلك تعرف كيف تعامله وهذه المسكينة التي سيفنى عمرها كما امها ، لأنها تُقدس وتعمل من اجل شخص لا يستحق!
تلك الليلة كانت هي تمسح ارضية المنزل ، وهو عائد من العمل ، وجدها تمسح ركلها بقدمه بقوة وكان يرتدي حذاءً
اوجعتها جداً حتى رمت جسدها على الارض من هول الالم فقد اصاب بطنها وتأذى جنينها ، هو اعتاد ان يفعل ذلك وهي اعتادت ان لا تتألم ، لكن الذي تألم اليوم طفلها !
اوجعها هذا الالم حد الانتفاض،
بينما هو اكمل مسيره في البيت متجه الى الغرفة،

وهي تنظر له مرت امام عينيها احداث كثيرة وصور مشوشة واصوات عالية وبكاء واستغاثة،
هنا امها يقتلها ابيها بوحشية، وفي تلك الجهة اخوها يحرمها من الطعام ويبصق في وجهها،
زوجها وعشيقته، السكينة التي هاجمها بها ذات ليلة، الطفلة التي رأته احد المرات يحاول التحرش بها وكم كان الموقف مقززاً، لكنها ابعدت الطفلة عنه ولم تشعره بأنها احست بشيء
،
طفلها الذي يبكي الان مستغيثاً ان ترحمه ، اخترقت الركلة اجزاءه الصغيرة التي مازالت في بداية تكوينها،
كان هناك حجر كبير يستخدموه عادةً لغلق باب الغرفة فأصبحت عينيها لا ترى غير هذا الحجر ،
تناولت الحجر بيدها وصرخت به فالتفت اليها ضربته على رأسه حاول ان يمسكها فصفعته بالحجر على وجهه وبدأت تضربه بشكل سريع حتى اصبح الحجر والرأس لا يفرق بينهما غارقين بالدماء ، سقط ارضاً وتركته وخرجت من البيت ،
بطنها الكبير ،الحجر مازال بيدها ودماء زوجها لطخت وجهها ويديها ، لفتت كل الانظار واقترب منها من يعرفها يسألها ماذا حدث ؟
لكنها لا تسمع ولا تتكلم ، تمشي وتقول لنفسها وتضحك بجنون قتلته انا قتلته خلصت الكون منه، انتقمت للجميع ولتلك الطفلة ولأبني ومن ثم بحزن قالت ولنفسي، نعم انتقمت لنفسي...
ضربته كما الشجعان من الامام لم اخدعه من الخلف ،
ضربته كثيراً حتى انتهى هذا الكابوس، اتضح ان الروح بسيطة تخرج بسهولة ، لماذا لا نحترم بعضنا اذن؟
النساء كل المشكلة هن!
والا لما يستمر موضوع الزواج الى الان ولم ينقرض؟
هي ترى انها تعذبت بزواجها لما تزوج ابنتها؟

هي ترى انها ظُلمت مع زوجها لماذا تنصح اختها بالزواج؟
هي تعلم ان الزواج نظام اجتماعي فاشل لماذا لا تنصح صديقتها ؟
ان النسوة جميعهن غيورات وحاقدات ،
هي لا تريد الاذى يصيبها وحدها ، تريد الجميع ان يشرب من الكأس المر الذي ذاقت!
وهي تبكي وتمسح دموعها وتضحك كذلك ،
اخذتها قدميها الى مركز الشرطة ،
رآها الشرطي الذي يقف عند الباب ، قبض على يدها بقوة، قالت بهدوء
-فرح انت كأنك قبضت على مجرم ، انا التي اتيت الى هنا بنفسي، وانا لستُ مجرم بل بطل منتفض ثائر على الظلم.
سحبها الى مكتب الضابط المسؤول،
كان جالساً يكتب شيئاً ، رفع عينه حينما طرق الباب ودخل الشرطي وبيده هذه المرأة ذات البطن الكبير والوجه المغطى بالدم، قال سائلاً
-من هذه ؟
رد الشرطي لا اعلم سيدي هي وصلت وحدها الان،
-حسناً اتركها واخرج،
-من انتِ وماذا حدث؟
-انا قتلته .. هو مات..
شجاعة انا قتلته مواجهة ،
خذلني كثيراً لكن الان انتفضت وثأرت للجميع ، حتى لوالديه ، انت لا تعلم كيف كان يعامل ابوه وحتى امه!
وتذكرت تلك الحادثة حينما زاره اهله كيف عاملها، وضربها لأنها احسنت استقبالهم!
ومن ثم شتم ابيه بكل كلمات السوء حتى اصبح الرجل الكبير يبكي ألماً، ونعتهم بالمتسولين،

كأنه يراهم يزوروه فقط لأنهم يريدون مالاً ،
وقسماً هم لم يطلبوا شيئا ،
كانوا لطيفين وحملوا معهم بعض الفاكهة حينما اتوا ،
غريب لما اثرثر هكذا وماذا سيهم القانون غير وجود قاتل ومقتول!
اكملت ببرود
من يهتم !
مدت يديها
امسكوني هيا وضعوني في السجن،
انا حقاً متعبة اريد ان اهدأ وارتاح ،
اخذ العنوان وامر الشرطي بأخذها للسجن،

جلست بهدوء خلف القضبان ، شعرت بآلام المخاض ، لم تصرخ حاولت جاهدة، وضعت يدها لتغلق فهمها حتى غرست فيها اسنانها ،
وخرج الطفل فأسرعت لخنقه بحبله السري ،
مر كل هذا الان امام عينيها والطفل الميت بجانبها ، ابتسمت، وقالت له هذا افضل لك بكثير فالحياة ليست جيدة يا جميل، ستغدرك وتخون حتى نفسك فيها وحتى والدتك،
بعد ان عادت لواقعها ، القت نظرة على كل من حولها، ولم تعد تشعر بالبرد الذي غزى جسدها ،
القت نفسها بجانب طفلها واحتضنته ، ضمته الى صدرها بقوة ،دموعها تجري ابتسمت وغادرت روحها بسلام.

قضية طلاق

-دموعي ليست كاذبة
صرخ مرة اخرى بصوت كالسكين الحاد
-دموع النساء كاذبة ، لا تصدقها يا سيدي
اجابت
-دموعنا ليست كاذبة بل ظنونكم السيئة!
-تريدين اقناعي ان امرأة في الثامنة والخمسين متزوجة منذ اربعين عام تطلب الطلاق الان ، عاقلة!
-ولما قد اكون مجنونة؟!
انا فقط اريد ان اقضي بقية عمري حتى لو يوم واحد او ساعة حرة ، اتنفس في تلك الساعة،
سحبت بعض الهواء من القاعة وقالت اتنفس .. اريد ان اتنفس.
عاد ينظر الى القاضي وقال
-سيدي ، عذراً لكن لا اعلم كيف وافقت ادارة المحكمة على هذه القضية، التي ان صح تسميتها فاشلة،
ينظر القاضي بغضب لذلك المحامي الشاب قائلاً
-التزم بأدب المحادثة ولا تتجاوز القانون ، والا ستجد نفسك خلف القضبان لسوء الكلام!
يبتسم الشاب بسخرية ، ينظر الى الحضور والى المرأة التي رفعت قضية الطلاق يحدثهم
-ام لخمس ابناء ثلاث اولاد وبنتان اكبرهم في التاسعة والثلاثين من العمر له ولدين ،هي جدة اذاً !
ترفع قضية طلاق على رجل ميت منذ اربع اعوام!
تطالب بالطلاق انه لأمر مضحك!
ماذا يحدث ، كيف تكون قضية هذه؟

اذا كان المدعي عليه ميت، جثة بلا روح لم يعد موجودا !
هل تحاسب المحاكم قبراً ؟
او نأتي بهيكل جسده يقف هنا لنطالبه بالطلاق!
ايها السادة ان عقلي يرفض ان يصدق ما يحدث،
لا اعلم هل عقولكم توافق رأيّ ؟!
تضج قاعة المحكمة بالأصوات الرافضة ما يحدث ، امتلأ الجو سخرية وضحكاً على تلك المرأة الجالسة في مقدمة القاعة على كرسي ،شعر رأسها ابيض جسدها يكبر عمرها عمراً،
لكن ملامح وجهها تدل على انها امرأة كانت في يوم ما جميلة جداً،
تهمس في اذنها ابنتها الصغيرة ، امي ماذا تفعلين لماذا تضعينا في هذا الموقف ؟
لا تهتم لما يقال وتسمع،
ينبه القاضي المحامي بأن لا يتحدث الا معه او مع المدعية،

ويطالب الحضور بالهدوء،
يرتب المحامي وضع الروب الاسود الذي يرتديه،
ينظر للأرض ، ثم يرفع عينيه موجهاً حديثه للقاضي،
-رفعت المدعية قضيتها ، ووافقت المحكمة ، لكن المحكمة بدورها طالبت بوجود شخص ترفع قضيتها ضده فلم يكن امام الادارة الا ان توجه القضية ضد الابناء لأنهم يمثلون الاب .
كان الابناء جالسين على الكراسي المقاربة لأمهم،
وضعهم حرج جداً ، هم في وضع لا يحسد عليه،
جميعهم انزلوا رؤوسهم ارضاً والابنة الصغرى ما زالت تتوسل امها ، في البيت والان وكل وقت ، تحاول ان تقنعها بما لن توافق عليه مطلقاً ، هي مصرة على طلبها.
يكمل المحامي حديثه
الان مجريات كل القضية امامك حضرة القاضي،

يرجع للوراء ثلاث خطوات ،
يسأله القاضي هل يوجد اي اضافة
- لا ، حضرة القاضي ، يجلس بجانب الابن الاكبر.
يطالب القاضي بحضور محامي المدعي ، فلا ينهض شخص،
يسأل المرأة ، الا يوجد محامي دفاع من اجلك.
تقف متوسطة الطول ، رشيقة الجسد،
تقول للقاضي
-ولماذا اترك شخصا يدافع عن قضيتي ؟
هل تعتقد ان هناك شخص سينقل لك ما اريد ، وان استطاع حفظ ما اقول ، كيف يشعر بي ؟
انا ادافع عن قضيتي !
ينظر القاضي لمستشاريه الاثنين يجلسان بجانبه
يهمسون لبعض ، صوت لا يصل لشخص لا يسمعه سواهم، ثم يقول تفضلي ..

انا يا سيدي امرأة على ابواب الستينات ،
امرأة تستيقظ منذ اربعين عام في الساعة السادسة والنصف صباحاً حتى حينما انتقل الى السماء ، انا لم اغير موعد استيقاظي ، حاولت كثيراً لكن بلا فائدة، حتى لو نمت الساعة الخامسة ، تجدني استيقظ عند السادسة والنصف ،كأني لا املك عقل بل منبه ساعة !
ثم اجلس ، ابتسم كأنه بقربي ،

اقول صباح الخير لا يجيب، هو لم يعد موجودا لكنه يملكني
احضر الحمام من اجل لا احد!
اصنع الفطور الذي يحب من اجل لا احد!
لا شخص يأكل ما اصنع ، لا شخص يذهب للحمام ليغسل،
اضع ربطة العنق الزرقاء التي احبها على الفراش ، اكوي

القميص الذي يرفض ان اجهزه ليلاً فهو يقول لي دائماً ، اني ابدو جميلة صباحاً حين اكوي القميص وعيناي تتقد غضباً لأنه يرفض ان اجهزه ليلاً.
لا اعلم ان كنت جميلة حقاً حينما اغضب لكن هو يرى ذلك وانا اثق بعينيه!
ثم اكمل كل هذا ، ولا اسمع صوته يقول لي هل مسحت حقيبتي وهل وضعت الأوراق؟

لا تنس ذلك الملف الذي على المكتب !

يرتدي قميصه ، يفتح خزانة الملابس ليستخرج ربطة عنق اخرى ويقول
-فهمت انكِ تحبين الزرقاء لكن لا يجب ان يبقى زوجك على لون واحد وهو يملك كل هذه الالوان!
فأغضب، يبتسم ويقبلني ويقول حسناً سأرتديها وانا اعلم جيداً انه وضع اخرى في جيبه ليرتديها في عمله،
لكنه يرضيني فقط.
لا يذهب للعمل الان ، يصلني مبلغ من دائرته لكن ليس هو من يعطيني اياه، هم لا يعلمون انه كان يأتي لي بوردة كل شهر ، او كتاب او عطر هو لا ينسى ان يهديني شيئاً كل شهر ،
اعود لأنام ساعتين ، ثم استيقظ مرة اخرى ،
لأجهز الغداء لشخص لن يأتي ،
افتح الباب عند العاشرة صباحاً لا اجد كيس الخضار عند الباب الذي يتركه البقال لي بعد ان اوصاه هو بما يريد اليوم ،
اذا كان البقال ينسى ، انا لماذا لا انسى؟
لكن لن يمضي الوقت هكذا ، هو يحب الرز بزيت كثير،
اصنعه بحب ، اضع قليلاً من الزيت فأبتسم وازيد الكمية وازيدها اكثر حتى تفرغ قنينة الزيت وابكي هو لن يأتي،

لمن اصنع هذا؟
لا يا حمقاء لا تبك ، ضيعي في الذكريات مجدداً ،
سيطرق الباب عند الثانية ظهراً لن يتأخر دقيقة ولن يتقدم ثانية،
الغداء جاهز بكل ما يحب ، العصير مع الطعام لا يأكل لقمة من غير ان يتبعها بعصير!
نعم انا احفظ كل ما يفعل حتى نفسه اعلم كيف يتنفس ، هو عادةً يتنفس بصعوبة ، يختنق لذلك يجلس عند الشرفة دائماً،

يكمل الغداء ، يخبرني ان الجنة لن تستطيع ان تأتي بطعام كالذي اصنعه لذلك سأطالب بوجودكِ في الجنة معي ، حتى لو دخلتي النار سوف انقلك معي،
-ولماذا سأدخل النار؟
- الم تفعلِ شيئاً سيئاً
-غير الزواج منك لم افعل شيئاً!
فيضحك بفرح حتى تتعب وجنتاه ،
تسعدني ضحكاته اكثر من اي شيء في الكون.
يذهب للنوم يستيقظ عند الرابعة ، الجميع يطالب بشاي في هذا الوقت الا هو لا يطيقه ، حتى صباحاً ،

يطالب بتفاحة الرابعة ،
يضحك جميع الحضور ويبتسم القاضي .
فتقول مؤكدة ما قالت نعم تفاحة الرابعة
يعود الجميع مصغياً للمرأة تكمل هي حديثها كأنها ترى ما تقول ...
صحن فيه تفاحتين وسكين ،
طبعاً بعد اربعين عاماً تعلمت ان التفاح لا يؤكل مقطعاً هو يلتهم هكذا كاملاً يعض جزءاً ،، جزءاً

لا تضعي سكين ، انا لا آكل التفاح بسكين ، لا اقطعه!
كان يقول ذلك دائماً،
منذ وفاته والتفاح لا يؤكل ولا شخص يعاقبني على وضع السكين، لأستفزه !

كيف اتحمل ابتعاد ما تعودت عليه؟
ينتهي منها يذهب للحمام ، يغتسل ، يخرج ينظر للمرآة اقف انا ورائه يظهر كلانا في المرآة ، يقول كيف لفاتنة مثلك ان تتزوج رجلاً كأنا؟!
تسمع صوت احد الحاضرين يخاطب من بجانبه يقول بصوت منخفض
-يبدو ان زوجها لا يصلي، لم تقل ابداً انه صلى
نظرت له ثم عادت تنظر للأمام وقالت
-كان دائماً يخبرني ان لا اقول اننا نصلي او افتخر بما نفعله للدين او اننا اشخاص مؤمنين ، نثق بالله،
لا تقولي اننا نصلي افعلي ما يؤكد ذلك ، لنكن انسانيين ، لنكون بأخلاق ، لا نكذب لا ننطق بسوء ، لا نؤذي لنفعل كل هذا وسيدرك الجميع اننا نصلي
يملكني الى الان ، يملك وقتي ، صوتي ، يدي ، جسدي، تنفسي ، وقت استيقاظي ونومي !
اسمع اسمي بصوته اسرع لندائه ، لا اجده!
صوت سعاله ، اليوم مريض لم يذهب للعمل ،
مزعج مرضه يقتلني قبله ، كلما جرح السعال صدره اتألم،
اوصاني الطبيب بهذا الدواء،
حان موعده الان ، هيا افتح فمك استيقظ خذ دوائك،
لكن السرير فارغ، السعال بلا صوت بلا وجود ،
انا فقط اشعر به،
اسأله هل تحبني ؟

-كم مرة تكررين هذا السؤال في اليوم؟
-ولماذا لا تجيب بسرعة؟
-لأني احبك كذباً، والكذب يحتاج وقت لأرتبه،
اصرخ حبك كذباً،
-نعم كذباً ان اقول احبك، نحن نحب اشخاص اخرين ، جسد اخر منفصل عنا ، اما انتِ روحك وجسدك وقلبك كله مني وانا منكِ ، نحن روح وجسد واحد لذلك جمعنا بيت واحد،
ابتسم انا يضحك و يكمل
-الم اقل لكِ ان الكذب يحتاج وقت!
اغضب احاول ضربه، يمسكني بقوة ، يضمني اليه ، فأتنفس!
انا الى الان اتنفس هذا الاوكسجين الذي ينبعث منه الممزوج مع عطره مع جسده، احبه لأنه يتحمل المسؤولية
نخرج ، نمشي ، اتعرف وظيفة الحارس الشخصي؟
هو كان كذلك ، انا اشعر انه يحميني ، يحافظ عليّ،
يحاول ان ابقى بقربه ، امام عينيه ، يحيطني من كل الجهات،
هذا السند انا افتقده الان لذلك لم اعد اخرج،
هو لم يتركني يوما احمل شيئاً ثقيلاً، او حتى خفيفاً،
يعاملني كـ سيدة ، طالما عاملني كذلك،
لذلك هو الملك الذي يستحق التاج،
انا زوجي رجل يستحق تلك الكلمة،
لم ار رجلاً غيره ولا يهمني غيره ، رجولته وضعت غشاءً على عيني لا يرضيني سواه،
اخبرته يوماً انت شخص لا يخاف وليس عليه ان يخاف،
قال انا لا اخاف شيئاً ، غير ان افقدكِ
-لن تفقدني انا محال اكون لغيرك ، لو كل رجال الكون امامي لما اخترت غيرك ، قلبي يرفض ، يقول لن انبض اذا كان ليس بجانبك!
اذاً لماذا ينبض الان ولا يتوقف!

ربما لذلك يصنع كل الاحاديث معه ولم يستسلم لغيابه!
تبدأ بالبكاء ،
اريد الطلاق ، حتى تنتهي حياتي ، اريد ان انتهي واتخلص من هذه الحياة التي لا تشبه الحياة!
يشاركها بعض الحضور وابنائها بالبكاء،
ملامح الدهشة واضحة على القاضي والمحامي الشاب،
يسأل القاضي،
-أنتِ تريدين الطلاق، متأكدة،

انا اراكِ متعلقة به.
-نعم ،يجب ان لا ابقى معلقة ،
هو قال لن يتركني يوماً وحدي وان فعل،
يجب ان اطلب الطلاق!
انا افتقده ، افعل كل شيء من اجله ولا اجده،
عليّ ان انفذ ما قاله، هذه ليست رغبتي ، هو طلب ذلك.
خرج المستشارين والقاضي وبعد ساعة عادوا ليحكموا في هذه القضية،
قال القاضي
-حسناً وافقنا على ما طلبت السيدة...
يريد ان يكمل سقطت ارضاً،
نُقلت للمستشفى بسرعة،
انت هنا اذاً ، لماذا تركتني ، هل كان عليّ ان اهددك بالطلاق حتى تعود!
-اشتقت لكِ
-انا مت شوقاً اليك!
تعالي الى هنا اقتربي ، اتقدم بخطى عجوز ثقيلة، بعد خطوتين تتسارع خطواتي يذهب اللون الابيض من شعري ، يضج حيوية جسدي ، اركض برشاقة اتجاهه،

ارتمي بحضنه اشم عطره، اه اشتقت لـ أو كسجينك الخاص، لا تتركني ابداً.
-انا هنا من اجلك ، كيف اتركك ،
اذاً تطلبين الطلاق!

سأطلقك حالاً، اضحك واضم وجهي في صدره.
جهاز نبض القلب يصدر صوتاً ، يعلن توقف القلب ، يعلن موت الجسد ، خرجت الروح ، تبكي الاجساد الحية المحيطة بسرير الميت!

الحياة واجهزتها لا تفهم متى تحيا القلوب حقاً!

قصتي

يجب ان يكون أساس الزواج الادراك
ان تدرك ما تفعله
للسير في طريق يجب ان تتعلم المشي اولاً ومن ثم خطوط ذلك الطريق واتجاهاته والى اين يؤدي
وهل نريد حقاً ان نصل الى هناك وهل هدفنا يسكن هناك؟
كيف تتوقع من فتاة لم تكمل ربيعها السادس عشر ان تعرف ما هو الزواج ؟
ما يترتب عليها ؟!
غير انها ستطبخ وتنظف وتتزاوج والاخير حتى الحيوانات تتقنه!
هل ستتحملون انتم نتيجة هذا الفعل ام هي ؟

١

- في السادسة عشر من عمري كنت في الصف الخامس اعدادي(ثانوي) تمت خطبتي على شاب في العشرين من العمر كان في مرحلته الجامعية الثانية .
فرحت بالأمر واني بين فتيات مدرستي استطيع أن أُرتب حاجبي واصبغ شعري باللون الذي اريده .
ربما تكون هذه اشياء ليست ذات قيمة في مجتمع اخر او في منزل لا يحتويه تفكير عائلتي .
الشيء المميز الاخر انهم في البيت الان يعاملوني كـ ملكة ، يليق بي التاج!
واخيراً تَخلصت من اعمال البيت .
قالوا لي ان هذا اخر اسبوع لي هنا واستطيع ان افعل ما اريد! سأحظى بغرفة خاصة ،لن اهتم لإزعاج اخوتي بعد الان ،لن يضايقني ابي بطلباته، لن توبخني أُمي.
سأتخلص من كل هذا ، لا عناء بعد الان .
ثم ان علبة مكياج كاملة اصبحت ملكي، هذه الالوان الجميلة التي لم ارها سوى في التلفاز واحياناً في خزانة أمي، لكنها لا تشبهها تماماً امي لديها القليل منهن والوان بسيطة اما انا فحصلت على الكثير الكثير.

٢

فستان الزفاف رائع وجميل ولونه ناصع البياض نقي ، يجعلني كـ ملاك، جسدي رائع به ،انا ابدو جميلة جداً بل ملكة جمال .
تعرفت على زوجي المستقبلي قبل اشهر من زواجنا حدث ذلك خلال فترة الخطوبة ،
في الحقيقة لم اكن اعرفه قبل ذلك، تحدث معي وتكلمنا بأمور كثيرة ، صنعنا قصة حب لم يكن حباً كالذي اشاهده بالتلفاز ، كان حباً مصنوعاً من قبلنا، لأننا تعرفنا على بعضنا لنتزوج فيجب ان نصنع ما يجعلنا نرتبط !
كان يحدثني عن مواضيع لم اكن ادركها جيداً وأخجل ان أسأل والدتي عنها !
حتى فترة قبل الزواج بيومين تحدثت امي معي وتكلمنا كثيراً كما لم يحدث يوماً!
غريب ان لا تتكلم الام مع طفلتها ، غريبا ان لا تضمها ، كيف تجعلها تفتقد اشياء كانت هي تفتقدها ؟!
كنت سعيدة وخائفة يوم الزفاف الثوب الابيض والكلمات التي تقترن بذلك الفستان ،صديقاتي يتمنن اخذ مكاني هذا ما ظننت!

وتلك العادات التي تفعلها الاناث اللاتي يعتقدن ان العمر بلغ حداً مخيفاً ولم يتزوجن!
كل هذا جعلني اشعر اني محظوظة جدا

٣

تزوجت وتمت القصة لكنها لم تنته ، تمت كما اخبرني الجميع كل شيء كما تحدثوا عنه، لا اعلم كيف تكون قصتي معروفة للجميع قبل ان تحدث ؟!
او ان حفلات الزفاف وما يحدث فيها وما قبلها وما بعدها متشابه دائماً .
لكن ما لا يعرفوه هو ما حدث بعد ذلك ،لم يحدثوني عنه .
مرّت سنتين ، كنت اشعر خلالهما بثقل نفسي ،
وروحي لم تستقر لفترة طويلة في ذلك المنزل ،
اشتقت لأمي ، ولكلام ابي حتى لو ازعجني بطلباته مستعده ان اخدمه طول العمر اتمناه الان ،حنوناً ابي رغم كل شيء .
ازعاج اخواني ،سخفاً كنت اسميه ازعاجا هو سعادة الان، فقط لو
اعود!
لكن حقيقة الواقع تكذب الاحلام
عائلة زوجي كانت متفهمة وطيبة وهذا ما يواسيني لذلك حاولت ان اكون معهم ابنة لا زوجة ابن ، حاولت كثيراً ولا ادرك ان كنت نجحت ، فأنا في هذا العمر لا استطيع ان اتفهم ما يحدث !
نعم الكثير من يقول هناك من تزوجن وهن اصغر مني عمراً ولم يحصل شيء ،
اقول لكم لا تغركم المظاهر انتم لا تدركون ماذا يحدث في النفس البشرية ، وكيف الفتاة تنصدم بكل ما حولها وحجم التغيرات ، واللعبة التي تحولت الى طفل حقيقي فجأة، عليها ان تعتني به وهي تحتاج من يعتني بها لتكمل طفولتها وتعيش حياتها قبل ان يُعاش عليها.
اللهفة غالباً تأتي بصدمة ، لهفتي وشغفي ذاك له نتائج سلبية

لم اكن اتوقعها ، الطبخ ليس مشكلة ، الاعمال ليست مشكلة ، كل ما علموني اياه لا اجد في اتقانه وفعله مشكلة،
الكارثة هي نفسي التي ان رأيتها في المرآة صدفة لا اتعرف عليها لا ادرك من هذه التي تسكنني ، لذلك فقدت التواصل مع نفسي والحديث معها،
فقدتها في زمن ما في عمر فات وسنينا لم اعش منها دقيقة كما اريد او كما يجب وكما الروح تستحق .
غادرتنا ايام ورحلت سنين عشتهم في ذلك المنزل كـ بنت وفرد جديد في تلك العائلة ،
الحمد لله لم يحدث كما سمعت عن ام الزوج وما تفعله لزوجة ولدها!

٤

اليوم الاول في الجامعة

انا الان اصبحت طالبة جامعية، الذي اعرفه ان كل الشباب اناث ورجال ينتظرون هذه المرحلة بشوق وخصوصاً في مجتمعنا انا لم اشعر بتلك الفرحة ولا اللهفة ولا الشوق ولا الانتظار، ولم اهتم ، وكان احساسي بسيطاً كأني في مرحلة مكملة للمدرسة لا اكثر.

ربما لأني متزوجة؟

لا اعتقد ذلك

ربما لأني فقدت نفسي في مكان ما ؟

لا اعلم .

اصدقاء جدد ، ارواح لطيفة محلقة في سماء مختلفة ، حرية هنا ، لستُ مميزه الان ، وانا لا اريد ان اتميز فقدت ذلك الاحساس.

صديق تعرفت عليه سقط قلمي بجانب الكرسي الذي اجلس عليه ، كان هو ماراً اخذ القلم من الارض وسلمه لي وابتسم . القى عليّ التحية اليوم الثاني وجلس بجانبي في يوم اخر ثم في نفس المكان جلس اليوم الذي بعده والذي يليه واستمر الحال

نتحدث بأشياء كثيرة ، افرح جداً معه انسى كل شيء ، لا يوجد احدا في الكون حينما نتحدث يخلوا العالم من ناسه ، الجميع يغادر رأسي لا افكار لا شيء عداه.

امرض فيساعدني ،نكتب لبعضنا ،نشرح نصحح ما اخطأنا به، نفتقد بعضنا حينما نغيب ، انا افتقده جداً اتذكره بالمنزل واغمض عيني واسكن خيالي وابدأ حديثي معه كأننا نتكلم مع بعض واقعاً .

انا انسى كل شيء عندما اكون معه لماذا لا انساه حين اعود للبيت واكون مع زوجي وعائلتي ؟!

٥

لم ادرك ماذا يحصل وما يسمى هذا ؟
حقيقة لم اكن ادرك
اخذت وقتاً طويلاً لأفهم ولم افهم بنفسي ، بل هو من فعل.
قال لي يوماً بعد ان عاتبته على غيابه اسبوع كامل ،
كان عتابي قاسياً ، لم اراجع كلماتي قلتها كما خرجت من قلبي
فعلاً لا اعلم كيف نطقت وخرجت الحروف بتلك السرعة!
قال رداً على كلماتي وعتبي
انا غبت لأني متعب ، متعب مني ، كرهت نفسي،
اكمل حديثه بغضب ،
انا اكره عتابك هذا، اكره اهتمامك ، اكره قربنا ،
اكره كل هذا لأنه جعلني احبك ،
استرسل بحزن وربما احبك بلا اسباب،
ربما لا تعلمين او لا تدركين ما يريدهُ قلبك ولماذا انتِ تهتمين
بي وتضحكين معي ، تفرحين بحضوري ،تعاتبيني دائماً ،
هذا فقط لأنك تحبيني .
اما انا فصامته طوال هذا الوقت وهو يتحدث وعيناي تتحدث
بدموع لا ادرك سبباً لهطولها .
واكمل هو قائلاً
انا اعلم انكِ متزوجة وهذا ما يرهقني ،
انا لستُ خائن لأجعل منكِ خائنة
انا لن افعل هذا مُحال !
وادرك انكِ لن تفعلي
فأنا اعرفكِ اعلم من انتِ جيداً، اخلاقك، انسانيتكِ ،احترامكِ
لعائلتك ولذاتك واحترامك الكبير جداً لزوجك.
انا لا الوم اهلك لكن للفتاة قلب وللمرأة قلب ولكل مرحلة تمر

بها الانثى تفكير وعقل يختلف ليس الانثى فقط بل حتى الرجل ،

انتِ لستِ مذنبة لكن كيف لوالد بالتأكيد مر بعدة تجارب فالسنين لا تزيد عمرنا عبثاً ان ينه عمر طفلته في الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تفهم وتريده هي، ينهي طفولتها هكذا فجأة يأخذ منها دميتها ليجعلها دمية للحياة ،
والدتكِ هي انثى وتدرك ما يصيب الروح مرت بمراحل تشبه حياتك كان يجب ان لا تغامر وتقرر فعل شيء بأبنتها لا تقرره الطفلة حديثة التفكير او ليس لها تفكير وعقل ناضج!

هو يتحدث وانا لا جواب ولا فعل سوى البكاء مع كل حرف شعرت اني انهار.
ثم تنفس بصعوبة وقال اعلم ما انت به الان لكن لا تقلقي سنبقى اصدقاء ، انا لم اعش تلك السنين عبثاً ،لستُ حكيماً لكن استطيع ان افكر ،
اهتمي بنفسك ابقي كما انتِ يا انيقة الروح .
قال هذه الجملة وغادر ،رأيته يحادث صديقه ويضحك معه كأنه لم يصبه شيء ، ولم يحطم قلبه قبل قليل !
نظرت له لكنه كان يخاف ان يلتقي عيوني ،
اخذت حقيبتي ونهضت وقررت في داخلي اشياء ، مررت بجانبه وتقدمت عن مكان وقوفه خطوتين،
قال لي منبهاً لدينا محاضرة اخرى اين ذاهبة ؟!
نظرت له وابتسمت اخبرته اني راحلة
الوداع يا صديقي...

٦

عدت للبيت ولعائلتي وزوجي ونسيت او تناسيت كل ما حدث ، تركت الجامعة وحلمي الدراسي ، ربما لأجعل احلام من يحبوني واحترمهم اكثر صفاء وسعادة .
الحب الحقيقي الذي سيحرك نبض قلبك واحداً لا غير،
العلاقات الواقعية احترامها واجب لأننا من صنعنا تلك العلاقات ومن صنعناها معهم لا يستحقون منا غير الحب الروحي والاحترام.
احياناً الاباء يخطئون هم ليسوا كاملين ، الكمال للخالق فقط، والابناء كثيراً ما يخطئون ايضاً
لكن ان نتعلم من تلك الاخطاء ولا نكررها مع ابناؤنا هو الغفران لذنوب فعلناها او فعلها اباؤنا بنا.

ليس عبثاً اكتب ما فعلت بل لأني ارى الكثير يكرر قصتي !
الوقوع في الخطأ اول مرة ليس جريمة حتى الله يغفر للتوابين لكن التكرار ذنب ،
الفتاة في عمر معين وحتى الشاب(١٣-٢٠) وربما اكثر ، احياناً العقل لا يكبر مهما زاد العمر ، لكن غالباً في هذا العمر تحتاج معاملة خاصة ، تحتاج لان تفهم الكثير ،تحتاج ان تتثقف لا ان تخاف ويستهان بها وبكيانها وشخصيتها ، هي لم تجرب ،تجاربها وحدود ما تعرفه قليل ، لذلك علينا ان نسقيها تجاربنا ونقرب لها الحياة وما فيها..
نحن مجتمعات غبية نحلل ونحرم نفس الشيء بحسب حاجتنا له ، نقسوا على انفسنا وعلى ابناؤنا ونحملهم مسؤولية تجاربنا الفاشلة ، لا ندرك اننا نحملهم ما لا طاقة لهم عليه ولا ذنب لهم فيه ،

كان علينا ان نعوضهم عما افتقدناه لا ان نجعلهم مرضى نفسيين .
التفكير، التأني وادراك الافعال ونتائجها عملا ليس صعب، هو فقط يحتاج ان نترك الماديات والخوف وما يقول المجتمع!
انا وجدت عائلة طيبة لذلك نجحت بالعودة لها ولم اشعر بحاجة للتخلص منهم والهرب لذلك الحب .
وجدت شاباً متفهماً ليس كاذباً ليجذبني لطريق اندم عليه، وانا كنت قد فهمت الكثير في وقت قصير .
لكن من ستجد عائلة لا تعاملها جيداً وشاباً لا يعلم ما الاخلاق.
ماذا تفعل وكيف تحارب نزواتها ، وهل عليها ان تعيش عمرها الذي لم تشعر به او عمرها كما مكتوب في هوياتنا التي تُعرف علينا ولا تعرفنا حقاً من نحن!
وهي الى الان لم تفهم الحياة جيداً في اول عمرها ولم تحاول حتى ان تدرك ما هو الواقع،
من كل هذا يجب ان نعلم ماذا فعلنا بالمجتمع وما اسباب تدهوره ووجود الخيانة وكثرة الايتام ؟

برجل واحدة

الشابة سارة تنظر بعينيها السوداويتين ممددة هي على الارض يفصلها عنها فراش لا يتعدى ارتفاعه ٤سم ،
تسمع الهاتف يرن ، يظهر والدها طويل القامة ، ذا شعر اسود ناعم وقليل ، لاطفت جماله وجود بعض الشعرات البيض، نظر لساعته انها الثالثة ظهراً ، من سيتصل الان؟
رفع الاب سماعة الهاتف ،هاتف قديم بلون اخضر
رد الاب على المتصل قائلاً
-نعم
، حسناً سأحضر حالاً وانهى المكالمة.

التفت الى طفلته بأسف وقال عليّ ان اتركك المدير يطلبني حالاً ، ويريد ان نذهب الى المركز الرئيسي للشركة وهذا يعني ان هذه الليلة لن اكون معك.
قبل ايام والدة سارة ايضاً غادرت المنزل مع جدتها واخيها للعلاج ويتطلب الامر بقائهم اسبوع خارج البلدة.

لم ترد ان يشعر والدها بخوفها وقلقها لان هذا سيثنيه عن عمله ، قالت له بهدوء اذهب يا ابي انا بخير ، لا تقلق.
رد الاب وهو ينظر بحزن وخوف لقدمها
-كيف اتركِ وانتِ هكذا برجل واحدة واشار لرجلها
كانت رجل سارة مغطاة باللون الابيض (التجبير) الذي يوضع للكسور ، فقبل ايام سقطت من اعلى الدرج المتنقل وهي تنظف سقف المنزل ،مما ادى الى كسر ساقها ، والتواء القدم وبهذا جبّر الطبيب الرجل بأكملها ومنذ ذلك اليوم وسارة برجل وحداة واغلب وقتها ممددة على الفراش لا تتنقل الا للضرورة.

قاطعت سارة خوف والدها حين نظر لحالها وقالت له
-سأكون بخير ماذا سيحصل ان غبت يوم واحد انا لستُ صغيرة ،هناك اناث بعمري لهن بيوتهن الخاصة واطفال يرتبن حياتهم ، لا تضعفك حال ساقي، مهما بهتت الاجساد فالأرواح هي، وانا قوية كما تعلم ورفعت يدها ليرى قوتها وهي تضحك واكملت قائلة ، كذلك انقضى نصف اليوم ولم يبق سوى القليل.
استسلم الاب لكلام ابنته ،فقد كان مجبوراً، رب عمله أمر وهو لا يستطيع سوى التنفيذ!
فمتى استطاع الشخص رفض طلب رئيسه ولو على حساب ابنه ولو على حساب روحه .
غادر الاب المنزل بعد ان ودع طفلته وطبع قبلة على جبينها ووضع بقربها ماء ومناديل وبعض الاكلات الخفيفة.
بعد ساعتين من مغادرته ، سمعت طرق الباب ،حاولت الوقوف ، وضعت احدى يديها على حائط غرفتها المطلية بلون احمر وابيض يشيران الى السعادة والى جمال الروح التي تسكنها ، واليد الاخرى على الارض ، لكنها لم تستطع الحركة ، وارادت ان تسحب ساقها فصرخت بصوت عال لا يدل سوى عن حجم الالم الذي غزاها جراء تلك الحركة ، رمت رأسها على الوسادة وهي تبكي بوجع ، وتلمس ساقها بيدها ، لم تعد تسمع طرق الباب لان من طرقه غادر فمحال ان ينتظر كل هذا الوقت !
شعرت بالملل ففكرت ان تقرأ شيئاً ، لكنها لم تكن ترغب بذلك ، تفكيرها بأن تقرأ جعلها تشتاق لكوب قهوة ،
اه ما يحصل لو اني استطيع ان ارتشف الان القهوة بقليل من السكر ، وبدأت تهرب بخيالها من الواقع ورحلت الى المطبخ والقهوة البنية على الرف سحبتها ووضعتها بالقرب من انفها استنشقت عطرها ، ومن ثم وضعتها في صحن تقديم ووضعت الماء على النار بعد ان اوقدتها،
دقائق واصبح الماء يغلي اخذته ووضعته بجانب القهوة

وبجانبه كوب ذا لون بني غامق وملعقة صغيرة وعلبة سكر، اخذت صحن التقديم ووضعته بقرب المدفأة جلست وضعت ملعقة من السكر وثلاث من القهوة وماء وبدأت تحريك الخليط ليتجانس ثم بهدوء رفعت الكوب ووضعته بين راحتيها لتستمتع بحرارته في هذا الجو البارد ، كان الواحد والعشرين من شهر ديسمبر ،وبرودة الجو تسبق عطف حرارة القهوة .

وبينما هي تستمتع بشرب قهوتها الحارة المصنوعة بحب وفرح، نظرت الى الساعة انها الحادية عشر ليلاً ،

قالت يا الهي كيف مضى الوقت هكذا؟

وبينما هي في دهشة من الوقت سمعت حركة خفيفة بالقرب من باب غرفتها حاولت النهوض لكنها ببساطة استطاعت الوقوف ولم تنتبه لقدمها ، مشت بهدوء وخفة وفتحت الباب بحركة بسيطة وبخوف قليل لكنها لم تر شيئا ففتحت الباب بأكمله ونظرت بعينيها هنا وهناك لكنها لم تجد شيئا، تحركت وابتعدت قليلاً عن غرفتها نظرت لأرجاء البيت وبينما هي تنظر اصطدمت بشيء مسكت قلبها وحولت نظرة عينيها للأسفل فإذا بها عصا سميكة وعريضة طولها متراً او اقل بقليل ، تساءلت عن سبب وجودها فهي لم ترها من قبل في البيت، فكرت ان تأخذها لعلها تساعدها اذا حدث شيء فأخذتها وعادت لغرفتها واوصدت الباب جيداً ،

حاولت النوم لم تستطع وبعد فترة سمعت صوتاً جديداً وكان اقوى هذه المرة فحملت العصا ونهضت ، وكما فعلت المرة السابقة لكنها لم تجد شيئا ايضاً ،لكن المطبخ كان غير مضاء وهي متأكدة انها فتحت جميع مصابيح المنزل ، من اطفأ مصباح المطبخ؟

قالت :

ربما انا لم افتحه؟ او انه احترق ؟

فذهبت الى المطبخ واذا بها ترى خيالاً لشخص عريض وطويل

القامة جداً ، فأمتلأ قلبها خوفاً وكاد يخرج من فمها ، واغلقت عينيها وسرعان ما فتحتهما لتتمالك نفسها ، ففكرت ان تضرب هذا الرجل على رأسه من خلف وبالتأكيد سيسقط ارضاً كانت دائماً ترى هذا الشيء يحصل في التلفاز .

كان الرجل مشغولاً بالبحث عن شيء في الرفوف ، بدأت هي بالتقدم لتنفيذ عمليتها ، تقدمت فأصبحت المسافة بينهما لا تزيد عن ثلاث اقدام ، رفعت العصا الى الاعلى بقوة ووضعتها على رأسه انتظرت سقوطه لكنه لم يسقط التفت اليها كان الظلام يخيم على المكان فلم تشاهد سوى سواد وعينان لونهما ابيض فرجعت الى الوراء وصرخت بصوت عال يخترق الجدار ويحطمه وعيونها تبكي

ابـــــــــــــــــي

واذا بشخص يمسح العرق من اعلى جبينها ووجهها ويقول بهدوء وحنان يخترق القلب لطفه

-نعم يا طفلتي ما بكِ

فتحت عينيها واذا بعيون ابيها الجميلتين تنظرا لها بحب وعطف،

عادت بذاكرتها وفهمت انها كانت في كابوس مزعج وانها غرقت في النوم منذ ان فكرت بالقهوة ،فضحكت وقالت لأبيها متى عدت انت.

آنسة في الخمسين

نحن غالباً نصادف الحب الحقيقي لكن نعيش مع غير ذلك

غرفة هادئة الالوان قليلة الضوء مائلة للظلمة نوعاً ما، عجوز في نهاية الخمسين مستلقية على سرير نحاسي بينه وبين الارض متر ،بجانب العجوز شابة في السابع عشر من عمرها ملقية برأسها على كتف الخمسينية العمر ، تنظر لها بحب واعجاب، سألتها قائلة

-جدتي هل تسمحي بسؤال ، لا اريد ان ازعجك ، لكن اريد ان افهم ،

-تفضلي يا عزيزتي اليوم لن يضجرني شيء

-لماذا لم تتزوجي؟

نظرت العجوز لفتاتها ، كانت لطيفة الصفات ، واسعة العينين ، شعرها اسود قصير حررته ولم تربطه بشيء كان مبعثراً جزء منه على كتف جدتها وقليل على وجهها ،

سحبت العجوز يدها و نهضت الشابة ، وهي تنظر لجدتها وتنتظر ما ستقول او تفعل،

نهضت العجوز واعادت ترتيب الوسادات وضعتهم بشكل مستقيم في موضع رأسها واسندت ظهرها عليهم ورأسها شامخ للأعلى ، كان وجهها سعيدا هذا اليوم ولم تتعجب لسؤال حفيدتها بل زاد بريق عينيها تألقاً ،وجهها الذي لا يخلو من بعض التجاعيد التي تعبر عن مرور السنين ،

بيدها اشارت الى طفلتها ان تقترب اكثر

وضعت رأسها على صدر جدتها ومسحت الجدة شعر حفيدتها وهي تكرر ذلك وتنظر للبعيد قالت

-كنتُ في الثامن عشر من عمري اشبهك كما قالوا لكِ، لكن

كنتُ سمراء ، ابي يقف قرب الباب ينتظر شخصا لا نعرفه لكن بعثه لنا عمي عندما علم ان نافذة البيت الكبيرة المطلة على الحديقة زجاجها تحطم بينما كان الابناء يلعبون الكرة في الحديقة ، هم اخي الكبير جدك اب والدكِ واخي الاخر الاصغر وبينما بعث جدكِ الكرة بكل قوة لأخيه كان يرسلها كأنه يلعب في ملعب مساحته آلاف الامتار ، انتهى الارسال في النافذة وتحطم الزجاج.

لم يعاقبهم ابي وطلب منهم ان يعتذروا من الجميع لأنهم اساساً كانوا بعمر يجعلهم يدركون كل شيء ،و حينما اعتذروا علمهم ان لا خسارة في الاعتذار حين ارتكاب الاخطاء ، بدل ان نرمي التهم ويشب عراك وحقد لانهاية له.

وصل الرجل الذي يصلح الزجاج اسمع ابي يستقبله ويسلم عليه كنت اتخيله رجلاً كبيراً يحمل زجاج في يده ولكن ما ان القيت نظرة من نافذة غرفتي حتى تبين لي شاب تقريباً في الثانية والعشرين من عمره لا يحمل شيئا بيده ، له عينان بنيتان تحاكيهن الشمس كلما التقتهن، شفاه رفيعة وجه ابيض نقي ، شعر كثيف وناعم يسرحه للخلف ،

حين رأيته شيئا بداخلي تحرك كـ قلبي مثلاً

نبضه بدأ يتسارع واظن انه عشقه من النظرة الاولى ،

ثم اكملت وهي تنظر للفتاة التي ضحكت بخجل ،

قالت لها انا لستُ ساذجة يا فتاة حتى اؤمن بالحب من النظرة الاولى انا الى الان لا اصدق الحكايات ، لكن هذا ما حدث،

هو يحادث ابي بصوت هادئ جداً وانا استرق النظر واحاول جاهدة ان استرق السمع لكن بلا جدوى لا صوت يصلني ،

وضع يده في جيب بنطلونه واخذ مقياس متري وبدأ يأخذ ابعاد (طول وعرض النافذة) لتقدير الزجاج الذي يحتاجه،

ثم كتب ما يريد في دفتر صغير والقى التحية على ابي وغادر.

ركضنا جميعاً لأبي منهم من يريد ان يعرف ماذا حدث ومنهم

من يريد ان يعرف متى يعود والاخير انا بالتأكيد،
قال ابي
-اخبرني انه سيأتي غداً ويكملها بأقل من ثلاث ساعات

اذاً غداً انا على موعد معه ، انا في موعد من غير ان يعلم صاحب الموعد ،
نظرت لعيني حفيدتها التي تستمع بأصغاء وحب وقالت لها
هل جدتكِ مجنونة؟
اشارت الشابة برأسها نافية ما قالت جدتها،
كأنها لا تريد ان تقطع صوت جدتها وتريد منها ان تكمل وصوتها الوحيد الذي يملأ الغرفة ،
استرسلت الخمسينية حديثها وهي تنظر الى سقف الغرفة بعينيها، قالت
هكذا قضيت تلك الليلة وانا انظر للسقف من غير ان اراه ، اشاهد فقط وجه حبيبي فيه،
نعم حبيبي وسيبقى هكذا حتى اموت ، لي الحق ان أُسكن قلبي من اريد،
جاء الصباح ودخلت الشمس لغرفتي وايقظني شعاعها،
يبدو اني غفوت من غير ان ادرك ، ما اذكره اني كنت مشغولة في النظر لوجه من عشقته ونسبت نفسي له ،

جاء الصباح انها السابعة والنصف ،
اليوم جمعة الجميع هنا ، لم يستيقظوا الى الان ، ذهبت مسرعة لأمي كانت المسكينة نائمة فهذا يوم استراحتها رغم انها لا تعمل بوظيفة لكن وظيفتها في المنزل تجبرها ان توقظ الجميع كل يوم وتصنع الفطور لهم، ليذهب احدهم للعمل واخر للمدرسة ،
انا منتظرة قبولي فهذه السنة سألتحق بكلية ما ..

ايقظتها وانا اقول امي بصورة متكررة من غير توقف ، هززت جسمها بيدي ففتحت عينيها الرائعتين يحملان كل الغفران والطيبة في هذا الكون ،
لم تنطق فقط رفعت رأسها من الوسادة و نظرت للساعة بجانبها وقالت ما بكِ ، هل حصل شيئا ما؟
-لا فقط يجب ان نستيقظ لأن العامل الذي سيصلح النافذة سيأتي
قالت وهي ترجع رأسها الى وسادتها بعد ان هدأ قلبها واطمئن انه لم يحدث شيئا خطيرا،
-يا فتاة من اخبركِ انه قادم الان هو سيأتي في الحادية عشر ظهراً والدك اتفق معه على هذا الوقت ،
لأنكِ كما تعلمين اليوم جمعة والجميع يريد الراحة ،
سحبت نفسي بهدوء وانا انظر لأمي عادت للنوم وابي الذي لم يفتح حتى عينه عندما ايقظت امي ، كيف يستغرق في النوم هكذا ولم يشعر بما حدث بجانبه؟!

مشيت بالقرب من النافذة انظر لها محاولة البحث عن اثر تركه زوج روحي ،
ثم نظرت للحديقة وللسماء كانت متألقة جميلة واسعة لكنها لاتسع قلبي وحبي ونبض انتظاري ،
بدأت اشغل نفسي ، انظف واطبخ الفطور واجهزه لمن في البيت ، كنت اريد ان لا افكر ، لكن كل ما افعله يذكرني به ،
استيقظ الجميع واحد تلو الاخر بعد ساعة ،
وصل العامل هكذا قال ابي لينبهنا ويدخل كلاً منا غرفته ،
قررت يومها ان لا اصعد لغرفتي وابقى في الغرفة القريبة من النافذة المطلة على الحديقة ، لكي اسمع صوته وحديثه،
دخل وكان معه شاب من عمره او اصغر منه بقليل يحمل احد قطع الزجاج ويحمل هو الاخرى وضعها على الارض بجانب النافذة القى التحية وسلم على ابي مد يده بكل هدوء واحترام،

سمعت صوته الهادئ يشبه سحر عينيه كلما التقن مع اشعة الشمس، نزع معطفه واعطاه لأبي مد ابي يده من الباب واخذت انا المعطف ، لم يعلم ابي اني في تلك الغرفة ربما كان يظن ان امي هناك ، لكن لا اعلم لماذا لم يضع المعطف في مكان قربه ، لكن ما فعله اسعدني ،

اخذت المعطف بخوف لا اعلم ما اربك قلبي ، قربته من انفي بخجل كأن هناك شخصا يراقبني كنت اخاف ان يرى شخص جنوني ،

بدأت استنشق عطره بهدوء ، الى ان امتلأت كل الغرفة بذلك العطر الخاص ،

اريد وضعه على قلبي واحضنه لكن خجلاً تملكني وكأن الذي احمله ليس جماداً انما روح وشخص حبيبي ،

ثم وضعته على كرسي كان قريباً مني ، وضعته ليس لأني اريد ذلك بل لأني اخاف ان يكون هذا المعطف شيء حي وروح تراني وترى ما افعل ، ففارقته بابتسامة وانا انظر له ثم عدت اشاهد زوج روحي وهو يعمل ويحدث ابي ،

انظر له وهو منغمس بالعمل وكل حركة يفعلها واي شيء يقوم به كنت احبه وبينما هو مستغرق في العمل رفع عينيه للنافذة التي كنت انظر منها ، رجعت بسرعة للوراء وقلبي كاد ينتفض ويخرج من جسدي ، جلست على الكرسي وانا اتنفس بصعوبة واهدأ نبضي واقول هو لم يرني بالتأكيد كانت نظرته عادية انا التقت عيني بعينيه لكن هو لم يرني ولم يلتق عيني، بالتأكيد لم يحصل ذلك ،وبينما انا اقول هذا لنفسي رأيت معطفه فوجدته يواسيني ويقول انتِ صنعتِ مني انا الجماد كائن وانا لستُ سوى جماد ، و ذلك الشاب لم يركِ هو نظر هكذا من غير اي ان يقصد شيئا.

وقفت بعدها ورحت انظر من جديد ولكن بهدوء وخوف وفعلاً لم يحدث اي شيء والشاب مستغرق في عمله ،

ويبدوا انه انهى ما اتى من اجله !
بهذه السرعة ، هل مرت الساعات من غير ان ادرك ،
مد يده ابي من باب الغرفة مطالباً بالمعطف ، اعطيته اياه،
الشاب غسل يديه واخذ معطفه وغادر مع صديقه يتبعهما ابي
الى الباب واعطاه مبلغا لا اعلم ما طلب وكيف اتفقوا على
السعر ،
رحت انظر للنافذة وللزجاج والمسه ، وتذكرت انه خرج لعلِ اذا
اسرعت انظر له من غرفتي واراه ،
انطلقت الى غرفتي لا اعلم كيف عبرت الدرج ، فتحت الباب
مسرعة ونظرت من اسفل النافذة وابعدت القليل جداً من
الستارة ، كان قد ابتعد رايته هو وصديقه يبدو انهم يتحدثان
عن شيء وضع صديقه يده على كتف مربتاً،
ربما كان يخبره انه رآني ، كيف يا مجنونة ؟
ربما يتحدثان عن مشكلة معينة بينهما،
مرت ايام وانا لا افكر الا به وليس لي حديثا مع نفسي سواه،
لكن بعد فترة بدأ يقل حديث روحي عنه ، وانشغالها به ، فأنا
حتى لا اعرف اسمه ؟!
لكن هذا لا يعني ان قلبي تخلى عن حبه ، بل جسدي انشغل
بأعمال التقديم لان اسمي ظهر في كلية القانون ،
اخذت اوراقي وتم التقديم ،
اخبروني ان الاسبوع القادم اول يوم دراسي ،
اليوم الاول قاعة كبيرة اجتمع فيها كل طلاب المرحلة الاولى
لأغلب الكليات في الجامعة ،
مجموعة من الاساتذة يتحدثون معنا يخبرونا عن المرحلة التي
وصلنا لها ويرحبون بنا،
انتهى اللقاء لم يستغرق اكثر من ساعة ،
كونت بعض الصداقات تعرفت على فتاة جلست بجانبي خلال
حفل الترحيب ، ومعها انهيت اليوم بعد ان رأيت قاعتنا

الدراسية ودخلوا بعض الاساتذة كانت كلها محاضرات ترحيبيه، انتهى اليوم الاول ..
نظرت لحفيدتها فرأتها تنصت لها وفرحة في عينيها ترجوها ان تكمل ،
التفتت الجدة الى الصورة التي بجانب السرير واخذتها بيدها وقالت لطفلتها ، شاهدي هذه انا،
-نعم اعلم ذلك ، كنتِ جميلة جداً يا جدتي و لازلتِ
-هناك شيء لا تعلميه انظري الى الصورة هل رأيتِ شخصا اخر ؟
-نعم هناك شاب يقف بعيداً لكن الصورة تظهر كأنه بقربك، ابتسمت لحفيدتها وقالت لها انه القدر يا عزيزتي هذا هو حبيبي !
اندهشت الفتاة نهضت ورفعت رأسها من على صدر جدتها واستمرت بالنظر نحوها واكملت العجوز حديثها وقالت
-ثالث يوم لي في الكلية قررنا انا وصديقتي ان نأخذ صور ، واحدة تجمعنا واخرى لكل واحدة على حده ،
التقط المصور لي الصورة ، وبعد ايام استلمتها ،
اخذت الصورة وانا انظر لها بفرح وفجأة اراه ،
نعم ذلك هو ، هو بالتأكيد نفسه انا لا احلم ولأني اشك في نفسي غالباً سألت صديقتي ان كانت ترى شابا بجانبي في الصورة هو بعيد لكن الصورة تظهره بجانبي ،
ضحكت كثيراً وانا انظر لها باستغراب قلت بالتأكيد هي تضحك لأني احلم وما اراه ليس حقيقة
تمالكت نفسها وقالت ، محال من اين اتى هذا الشاب انا لم اره حين التقطنا الصور ثم هو لا يظهر بصورتي ونحن وقفنا في نفس المكان لماذا يظهر بجانبكِ وليس معي؟!
اذاً هو موجود وحقيقي، وانا لا احلم ، من اين اتى وكيف يتواجد هنا ؟

هل توجد نافذة تحطم زجاجها؟
وبينما انا وصديقتي نتحدث تقدمت بقربنا اخت صديقتي كانت فتاة طويلة وقوامها رشيق ، وبشرتها حنطية اللون ، ولها عينين تشبه عينا اختها كأنهما خُلقا بنسخ الاعين واللون عيون سوداء كبيرة دائرية ،
كانت في المرحلة الاخيرة فشاهدت الصور بيدنا اخذتهم منا بطبيعة الفضول وضعتهم بين يديها وبينما هي تشاهدهم قالت هذا زميلي كمال يظهر معك بالصورة،
سألتها انا بدهشة
-ماذا تقولين زميلك؟!
-نعم هو معي يدرس في المرحلة الاخيرة هو الان .
واعادت الصور لنا وغادرت ،
وبدأت انا رحلتي مع كمال اسمه كمال اذاً،
ويدرس معي في نفس الكلية !
كل اوراقي ومحاضراتي تشهد اسمه وتعرفة اين يوجد حرف ك، م ، ا ، ل ، اين اجدهم اضع حولهم دائرة واشارة ، كان نجماً مشرقاً في عالمي وقمراً يقضي على ليلي المظلم،
انا الان اعلم اين يكون
بدأت اترقب الوقت الذي تذهب فيه صديقتي لأختها ، لأذهب معها وها هو امامي للمرة الاولى من غير حاجز،
لم ينظر لي كان مشغولاً يحادث صديقه لكن انا كنت انظر له ومن غير خوف كأنني انا وهو الوحيدين في هذا العالم،
دقائق وانتبه لي ولنظراتي المطولة له،
محال ان ينظر لك شخص ولا تشعر بذلك،
ما ان تلاقت عينينا وعلم بوجودي واني اعيش في مكان ما في هذا الكون انا هنا يا حبيبي اهبك مكاناً داخل قلبي منذ زمن الا تدرك؟
اشحت بنظري عنه لكن هو استمر بالنظر لي

ليت ما سقانِ الله من حب سقاه
كنت انتظر صديقتي خارج قاعة اختها دقائق واكملت ما جاءت من اجله ، اخذتني ورحلنا عبرت من جانبه ،
كنت مشتاقة لعطرة فأخذت استنشق الهواء الذي حوله ، اريد تنفسه ،نظرت له ونظر لي حينما اقتربت منه ، اقسم ان نبضي في وقتها وصل حد لا يعده اي مقياس للنبضات!
احبه والى الان اعشقه ، كان حبي الاول والاخير هو من ادركت من خلاله اني املك قلبا وله نبض خاص ينتفض حين يرى من يحبه ويسكنه،
واصبحت تنظر للصورة وتلمس ذلك الوجه وعيناها تكاد تدمعان،
ثم اكملت قائلة ، عدت للبيت في ذلك اليوم وانا احلق بعيداً في السماء لستُ من سكان الارض ،
رحت اجهز العشاء وانا اشعر ان حبيبي سيعود من العمل بعد قليل ويريد الطعام فأصنعه بكل حب واتمنى ان يتذوق ويشكوا لي قلة الملح او كثرته ، كنت اتمنى ان ينطق بأي شيء، لكنه ليس هنا ، اصبحت اذهب للكلية من اجل ملاكي الخاص زوج روحي ، انتظره فيأتي متأخراً واحياناً تمضي ايام ولا يأتي

كنت اشتاق ، والمشتاق ماذا يقنعه غير عيون حبيبه وعطره ، في يوم انتظرته كثيراً حتى وصل الدوام نهايته ولم تبق لي سوى محاضرة واحدة ، ليس هناك سوى ساعتين وينتهي اليوم الجامعي واعود للبيت وانا اشتاق وقلبي يطالبني برؤيته ، قلبي عنيد لا يتخلى عن ما يريد ولا يهدأ لا يرضيه شيئا، وانا اقف انظر من نافذة القاعة قرأت لي صديقتي قصة يقال ان فتى عاشق مر بصخرة فكتب عليها البيت التالي

ألا أيها العشاق بالله خبروا .. إذا اشتد عشق بالفتى كيف يصنع

فمر الأصمعي بتلك الصخرة في يوم آخر فرد على البيت بقوله يداري هواه ثم يكتم سره ... ويخشع في كل الأمور ويخضع

وفي اليوم التالي مر الفتى بالصخرة وقرأ رد الأصمعي فرد عليه بقوله

فكيف يكون ذا والهوى قاتل الفتى .... وفي كل يوم قلبه يتقطع

فرد عليه الأصمعي بقوله

إذا لم يجد بدا لكتمان سره .... فليس له شيئا سوى الموت أنفع

فعاد الفتى في اليوم التالي وكتب

سمعنا أطعنا ثم متنا فبلغوا .. سلامي على من كان للوصل يمنع ألا أيها العشاق إني مودع ... فإن نحن ما عدنا فالقيامة تجمع

فقتل الفتى نفسه بجانب الصخرة

وبعد عدة أيام مر الأصمعي فوجد الفتى مقتولا وقرأ جوابه الأخير على الصخرة

فقال الأصمعي : والله لقد قتلته

اثرت بي الكلمات كدت ابكي وربما بكيت ، القلوب كثيراً ما تبكي و لا تسجل العيون ذلك،
واذا به يظهر من بعيد انيقاً ، جميلاً ، رجلاً
لم اصدق عيني فرحت ، فرحت جداً ، لكن كنت غاضبة منه ، اتمنى ان اعاتبه واضربه على صدره كثيراً ثم يضمني اليه ويقبلني على رأسي ويعتذر ، فاقبل اعتذاره وارضى واهدأ بين ذراعيه،
هو رآني انظر له وابتسم ،
ابتسم لي كأنه يعلم اني كنت انتظره، هل كان فرحاً بعذابي واشتياقي؟!
خرجت لرؤيته فوجدته يجلس مع فتاة ويتحدث معها عن قرب وكانا يضحكان،
كأن سكيناً اعمى يخترق قلبي ببطء ويعذبني وانا اقف بلا حراك، تمنيت لو اني اقتله،
أليس حلالاً القتل حين الغيرة، من حلل له النظر لها هذا الفم كيف له ان يحادث غيري، تلك العينان لم تخلق الا للقاء عيوني ،
تركت المحاضرة المتبقية لي ومن غير ان اخبر صديقاتي عدت للبيت ، ولم اتغدى وبقيت في الغرفة لوحدي ابكي وابكي ، بكيت كثيراً ، لم يؤلمني قلبي من قبل هكذا!
قررت يومها ان انساه وامحوه من حياتي ،
فأنا اعيش حلم فاشل ، حلم من طرف واحد لا يعلم من يسكنوه انهم موجودين هناك، خلقت قصة ووضعت ابطالا لا يعلمون عني شيئا،
نعم فمن انا بالنسبة له، ربما حتى تلك النظرات ليست لي ، وربما هو الى الان لا يعلم بوجودي في هذا الكون،
بدأت اذهب للكلية واعود من غير ان اهتم ،
طبعاً ظاهرياً فقط ، لأن قلبي كان دائم السؤال والبحث عنه،

احياناً ينظر لي فلا اهتم وربما لو كان فعلاً تعرف عليّ تلك الايام ولاحظ حبي له يستغرب الان بعدي عنه ،لأني لا انظر له حتى، كأني اكرهه وانا اهيم به عشقاً.
في يوم دخلت قاعة محاضراتي فوجدته جالساً يحادث احد زملائي ، عندما دخلت وقف فجأة فضحك زميلي لما فعل فلم اهتم لهم ووضعت حقيبتي وخرجت ، خرج هو وزميلي واكملا حديثهم وهو ينظر لي ، فدخلت للقاعة وحاولت انا لا اهتم لما حدث واقنعت قلبي ان هذا الكائن لم يخلق له وان لا يطالبني بعد الان بلقائه،
انتهت السنة الدراسية تخرج هو ، وانا نجحت للمرحلة الثانية ، وصلني خبر من صديقتي عن طريق اختها ان ذلك الشاب الذي في صورتي تزوج!
وهنا اعلنا الخسارة انا وقلبي بكامل الاحترام والكبرياء،
في تلك الفترة لم اكن بتلك القوة التي اقاوم فيها عقلي وانظر للحب بطريقة صحيحة ، كنت لا ادرك ان قلبي اختار شخص ولن يختار اخر، كنت اجهل طريقة قلبي في الحب ، فالذي اعرفه ان الناس تحب اكثر من شخص!
ولم اكن اعلم انا وهو خطورة الوقت وما انتهى لا يعود ، والوقت الة تقتل من لا يتقن ويحترم دقائقها ويستغلها كما يجب ، لان ما بين يدينا اليوم يرحل غداً،
انتهى الوقت الذي كان يجمعنا والفرص التي قدمها لنا القدر لم نستغلها كما يجب ، ضيعنا الحب وبعضنا بكل بساطة والم.
بينما انا امشي في السوق واخي بجانبي جدكِ يا طفلتي،
رأيته يمسك بيد زوجته وكانت حلقات الزواج تلمعان وتثيران النيران في قلبي ونورهما يجرح عيني ،
صُدمت والم قلبي كان فظيع بلا صوت تألمت،
حقدت عليه ذلك اليوم وكرهت نفسي ، كيف اني احب شخص لم يفكر بي مطلقاً،

ولو بقيت على تفكيري ذلك اليوم ، كنت تزوجت وربما احببت شخص اخر ،لكن ما حدث اني في حفلة تخرجي التقيت بزميلي الذي كان يحادث كمال ذلك اليوم، كانت معه زوجته فسلم عليّ ، قالت له زوجته بهمس هل هذه حبيبة صديقك،
فضغط على يدها يريدها ان تصمت فانتبهت وابتسمت لي وغادر ليجلس في المكان المخصص لهم في الحفل،
كانت تلك الجملة طوال الحفل تتردد بقوة داخلي وعلى مسمعي، كسرت حاجز الصمت والخوف الذي بداخلي وذهبت لزميلي اطلبه للحديث جانباً ،
سألته مباشرةً ماذا كانت تقصد زوجتك،
قال بارتباك لا لا شيء
-رجاءً اخبرني
-انتِ لا تعرفيه هو شخص من غير مرحلتنا كان معجب بكِ واراد ان يحدثكِ ، لكن لاحظنا انكِ غير مهتمة به، وهو الان رجل متزوج لا داعي لان نثير هذه القصة، مضت سنين...
اخترقت كلماته قلبي ، كيف لهم ان يحكموا على قلب شخص من غير معرفة ما يحتوي بداخله وما يشعر، لما لم يحدثني ليجرب الفشل او النجاح ، لما حكم علينا بالفراق قبل ان نلتقي كيف له ان لا يدرك انه يسكن هذا القلب منذ زمن وانه لم يخلق لسواه، وانا لماذا عاملت حبيبي تلك الفترة بقسوة ،
ماذا حدث ما هذا الغباء لما كل هذا يحصل معي؟
عاقبني قلبي لفعلتي تلك واني لم اسمع له وهو طالما اخبرني ان عاشقهُ صادق ،
وانا استسلمت بحب لذلك العقاب ولم اتزوج ليس لان قلبي امرني بذلك بل لأني لا استطيع ان اسعد شخص وكيف اكذب عليه وانا محال ان امتلك مشاعر غير تلك التي خُلقت لأميري الخاص ،
التقيته في بعض المرات، وكان ينظر لي كثيراً ، لكن لم ابادله

النظر الا خلسة من غير ان يدرك ،لا اريد ان اشغل رجل متزوج عن عائلته ، ولا اعلم ان كان يشعر بي حينما انظر له او لا ، ربما كان يعلم!
اخر مرة رأيته فيها ، حاولت ان اهرب ما ان رأيته، لحق بي كالمجنون عبرت الشارع ،
واذا بسيارة تفاجأني ويد اخرى تسحبني ، كان هو لكنه تأذى كثيراً ، لم اتحمل الالم الذي اصابه ، اقسمت بعدها ان لا اراه لم اعد اخرج كثيراً بسببه حتى انعدم خروجي تقريباً،
هو من انقذ حياتي ، كيف اتزوج وامنح روحي لشخص اخر ، منذ تلك اللحظة روحي اصبحت ملكه ، هو من انقذها، ربما نظرية اعطاء الروح وتمليكها لشخص ما لا يقتنع بها الكثير، لكن انا افهمها واحترمها واطبقها،
انتمت روحي له تلك اللحظة حينما مسكني والتقيا جسدانا والارواح تعرف الى من تنتمي؟
لذلك لم اتزوج لان روحي ليست ملكي ، هي له ، انا فقط خُلقت من اجله ،

احببته ، احببته كثيراً ، كان رجلاً عظيماً عشقت صفاته، كل شيء فيه يجعلني اتنفس، ينبض قلبي بسعادة له ، لا يفعل هذا من اجلي ، بل من اجل ارضاء عاشقه.
انانيين نحن حتى حينما نحب ، نسأل عن الشخص الاخر فقط لـ ارضاء ذاتنا وقلوبنا،
لم اكن اريد ان اكون هكذا لذلك عشت كل عمري من اجل حب لم يلتق ويتحدثا عاشقاه ولا مره.
ثم قبلت الصورة ووضعتها على قلبها ونامت فقط من اجل لقائه بأحلامه

سارقة الحلوى

الجو بارد جداً الثلج ينزل باستمرار الساعة الواحدة ليلاً
كوخ صغير في قرية هادئة لا يسمع صوت ، هدوء مخيف
وبرودة قاتلة ، تكاد تسمع صوت تنفسك ،
ينبعث من ذلك الكوخ ضوء من نافذته الصغيرة تجلس شابة في
السابعة والعشرين من العمر بقرب مدفأة تضع فيها الخشب بين
فترة واخرى ، بقربها والدتها مستغرقة في النوم امرأة في
السادسة والخمسين من العمر ، تبدو محتفظة ببشرة نقية
وملامح واضحة الجمال بالرغم ان السنين وضعت لمسة عليها
، لفت رأسها بغطاء لتتجنب برودة الصقيع ،
ابنتها ليست اقل جمالاً منها بل ان رونق الشباب اضاف لعينيها
و شفتيها سحراً وبريقاً جذاب وخيالي ،
بينما الفتاة الشابة تغذي النار وتهديها بعض الاخشاب والاخرى
تلتهم بشراهة سمعت صوتاً حركت رأسها اتجاه الصوت القادم
من النافذة ، نهضت لترى مصدر ما سمعت وبينما هي تريد
الذهاب تكرر طرق النافذة ،
قالت في نفسها من سيأتي الينا الان في هذا الجو في الاساس
لا يزورنا شخص في صحو الايام،
دققت النظر في النافذة رأت شابة يقارب عمرها الثانية
والعشرون ، ترتدي معطفاً بلون السماء وشعرها ملأه الثلج
فغدا ابيض واهدابها كذلك، عيونها وانفها ارتديا اللون الاحمر
من البرد، أومئت الفتاة خلف النافذة برأسها وعينيها طلباً
لفتح الباب،
وبفعل رد مباشر نظرت الشابة الاخرى الى والدتها رأتها
مستغرقة في النوم ، لا تريد ان تزعجها ، لكنها تخوفت من

فكرة فتح الباب في هذا الوقت لتلك الفتاة وهي لا تعرفها ، ربما يكون معها اشخاص اخرين خططوا للقضاء عليها هي وامها!
لم تفكر اكثر ، حاولت النظر اذا كان هناك شخص اخر لكن الظلام كان شديداً والرؤية معدمة لم يساعدها خيط النور الذي بيدها على الرؤية ، لذلك لم تر سوى الشابة التي تكاد ان تموت في هذا الثلج .
تغلب عطفها على خوفها وقررت ان تفتح الباب لها وتساعدها ،
وليحدث اي شيء فهدفها نبيل ولو امها استيقظت لفعلت نفس الامر.
تحركت ببطء اتجاه الباب وكذلك فعلت الضيفة ، دخلت الضيفة وابتسمت لها وحيتها برأسها فلم تستطع ان تفتح فمها من الجليد، كأن شفتيها تجمدا،
نظرت ضوء حول الباب بعد دخول الضيفة فلم تر شيئاً ،اغلقت الباب بأحكام،
ساعدت الفتاة بنزع معطفها المبلل وقربتها من الموقد ، واخذت قفازيها لتجففهما مع المعطف ووضعتهم حول النار ، ناولتها من ملابسها الخاصة وغطاء للرأس وتساءلت في نفسها لما لم تضع غطاءً حول رأسها لتدفئ اذنيها وعنقها في هذا البرد وما يدعوها للخروج في مثل هذا الوقت والجو!
وكأن الفتاة سمعت اسئلتها قالت لم اكن اعلم اني سأخرج ولا انوي الخروج .
فتحت ثغرها ضوء عندما سمعت اجوبة الفتاة على اسئلة لم تنطقها فقط حدثت نفسها بها ،
وايضاً قالت في داخلها بالتأكيد هذه الجميلة ليست من القرية فلم ارها من قبل وملابسها وهيأتها تدل على انها من سكان المدن الذين يتمتعون الان بمدفأة كهربائية وماء حار جاهز ،
قالت هذا في نفسها وهي تناولها كوب ماء حار لتشرب منه

وتتدفأ به ،
اخذت الضيفة الكوب ووضعته بين راحتيها وابتسمت بعد ان عادت الدماء للحركة في جسمها وبدا الدفأ والراحة من عينيها السوداويين واهدابها الطويلة وبشرتها السمراء كانت مليحة الصفات جميلة المظهر لطيفة الضحكة ،
قالت انا لستُ من هنا صدقاً ما تقولين ،
فتحت ضوء فمها لتنطق وتسألها كيف سمعتي ما حدثت نفسي به ؟!
لكن الفتاة الضيفة لم تترك مجال للتحدث واكملت قائلة ،
كنت اعيش في منزل كبير وجميل وكما قلتِ في المدينة ، كان ابي ثريا يسافر دائماً من اجل اعماله وامي تقضي اغلب وقتها مع صديقاتها في لقاءات ظاهراً لأنهن يحبن بعض ولكي يطمئنّ على بعض ، اما مغزى اللقاء الحقيقي من اجل ان تستعرض كل واحدة منهن ما اشترت وبأغلى سعر وكلما ارتفع ثمن ما ترتديه كانت هي نجمة الحفل وهي الفائزة والمحاطة بـ الانظار ، طبعاً ليست العيون المحبة بل الحاقدة او الحاسدة ،
اما انا فلا يزعجني بُعد ابي ولا غرور امي بالمظاهر،
كنت ايضاً مشغولة بحياتي الخاصة وافكاري التي لا ادرك صحتها او خطأها،
بينما هي تتحدث كانت ضوء تسرح في وجهها وتنظر لها بأعجاب ضمت ركبتيها بيديها واسندت رأسها فوقهم
سألتها ما اسمكِ؟
اجابت سأخبركِ لاحقاً واسترسلت حديثها قائلة
في يوم كان الجو مشمساً ربيعياً رائعاً خرجت امشي وانا انظر للبيوت والناس التي تسير في الطرق ، هناك سيارات وذاك طفل يعلمه والده كيف يركب العجلة لأول مرة ، فيمسك له العجلة ومن ثم يتركه ليتعلم الاعتماد على نفسه حتى ان سقط لا يتركه يبكي و يترك العجلة بل جعله يتمسك بها ويحاول مرة

اخرى لكي لا يبقى طوال حياته يخافها ، لذلك علينا ان نتحدى ما نخافه لا ان نختبأ وكذلك يجب ان نفكر وندرك ماهي احلامنا وما الطريق الذي نريد الوصول اليه ماهي حقيقة اختياراتنا واحلامنا بعيداً عن خطط والدينا !
وانا انظر في البعيد وامضي في ذلك الشارع ارى الاشجار تحدد جانبيه اكتشفت اني لا ادرك طريق حياتي ولا خطتي لأعيش كما الان لا اعلم الى اين ينتهي هذا الطريق؟
فربما تكون نهايته لا تروق لي وربما تكون نهايته مخيفة ، كذلك ربما يكون طريقاً مملوء بالشوك ، وربما تنتظرني وحوش في نهايته وافاعي ضخمة تلتهمني ، وربما تكون نهايته ورود واطفال وشباب يرقصون ، كلها احتمالات لا شيء مؤكد !
توقفت قليلاً وسألت نفسي هل انا اريد المضي في هذا الطريق قدماً؟

هل اريد ذلك حقاً؟
نعم هو اختياري انا اليوم منذ الصباح قررت ان امشي مع قدمي واي طريق تختاره أوافق عليه
وبما اني وافقت على قراري يجب ان اتحمل النتائج مهما كانت لان تلك رغبتي ،
حينما نقرر شيء ونثبت على ما قررنا بكل عزيمة اي نتائج تأتي بعد ذلك علينا ان نتحملها بكل شجاعة كما قررنا بكل شجاعة.
وانا امشي واحدث نفسي وصلت نهاية ذلك الطريق كانت حديقة عامة لا تبعد عن بيتنا الكثير لكن لم ارها من قبل لأني كلما اخرج ارافق والدتي او الى دراستي بالحالتين تقلني سيارة،
اخذت انظر في ارجاء المكان كأي طفل يرى شيئا يعجبه لأول

مرة والفرحة التي تملأ عيني تشبه الفرحة في عيون الطفل اذا حصل على حلوى او نُفذ له ما يريد،
كنتُ ببساطة طفل ، اخذت اجري هنا وهناك ، اجلس مرة على كرسي ومرة على الحشائش ، العب في العاب مخصصة للأطفال،
اخذ من طفل دميته فيركض ورائي ،فعلت كل ما اريد وجميع ما فعلت كان غريباً عليّ فأنا لم اخرج من قبل وكنت اتصرف دائماً كـ امرأة حتى قبل ان اكون كذلك،
وبينما انا اريد سرقة حلوى احد الاطفال ، همس في اذني احدهم
-رأيتكِ
كلمته تلك دخلت عقلي وجسدي بكل هدوء،
ربما لأنه كان قريباً مني حين قالها، التفت له كان شاباً طويلاً انيقاً جداً فبدأ يضحك ويضحك وبصوت عال، ويرجع الى الوراء حتى اصطدم بشجرة كبيرة اظنها زُرعت منذ زمن
كانت واقفة كأنها امرأة حكيمة وقور ، وابنائها اغصانها يحملون اوراق خضراء ملمعة يغنون طرباً مع اشعة الشمس،
نظرت له بغضب وانا اعقد حاجبيّ وقلت له
- لماذا لم تدعني اخذ الحلوى
فقال وهو يضع اصبعه على عقدة حاجبي يخبرني ان لا اغضب
-الم يخبركِ والداكِ ان السرقة حرام
واخذ كفي ضربه بيده بلطف وقال حرام يا فتاة
ورددت عليه بنفس نبرتهِ الساخرة
-وانت يا فتى الم يخبرك والدك او تتعلم في المدرسة ان لا تتحدث مع الغرباء ، فربما ان لم انجح في سرقة الحلوى سأنجح بسرقة عيون شخص ما!
ضحك هو بجنون لما قلت حتى دمعت عينيه كأن هذا الشاب لم يضحك منذ سنين ،

بعد ان تمالك نفسه، قال وهو يُمثل التوسل،
-لا تأخذي عيني يا سيدتي ، اطلبي ما تشائين غيرهما،
-هل ينفع كلتا كليتيك؟
-كيف؟
يجب ان تبقى واحدة لأعيش
-هل ينفع قلبك؟
-ومن سيضخ الدم لجسدي ؟ سيتوقف عن النبض!
-ولما يهمنا نبضه، ليتوقف؟
اذاً استقر الامر على القلب

-لا لا كيف يحدث هذا
-لا مجال للرد بعد الان خسرت قلبك
ثم ضحكنا بعد هذا النقاش
فقال
-كان يجب ان اتركك تسرقين الحلوى
-كان يجب ذلك ، لما خسرت قلبك الان!
-ومن تفضلين الحلوى او قلبي
-بالتأكيد الحلوى ، لكن لابأس بقلبك ننهي به اليوم.
وهممت بالمغادرة صاح ما اسمكِ
قلت له ــ لا اعلم
قال ــسارقة الحلوى
ضحكت واخبرته ــربما
قال اذاً سارقة قلبي

التفت اليه ونظرت له بـ استغراب لما قال وغادرت .
انهت حديثها هنا ونظرت لضوء المستغرقة في النظر
والاستماع لها، انتبهت ضوء لتوقفها فقالت لها اذاً اسمكِ
سارقة الحلوى او قلبه المسكين ماذا تفضلين ؟

وضحكت ، بينما بدت على ملامح الضيفة نوع من الحزن وقالت لم اسرق شيئا..

ثم اكملت بهدوء وعيناها تنظر للنار وينعكس ضوء النار فيهما،
انا كنت اخاف كل شيء ولا استطيع صنع شيء بمفردي ، اعتمد على غيري بكل ما اريد
ان غابا والديّ اكون وحيدة ، رغم كل من حولي ، اخبرتني مربيتي انني فتاة غير قوية ، لن تستطيع مقاومة الحياة لوحدها ، دائما تلجأ لغيرها ، اذا احرجها امر بكت ، اذا خافت بكت ، كل شيء تجيب عليه بالدموع حتى ذلك الطريق لن تعبره وحدها ، لهذا السبب في ذلك اليوم قطعت ذلك الطريق لوحدي ، وبدأت فرحة بادئ الامر اني استطعت ان افعل ما ظنته مربيتي محالاً.

لكن بعد ان راجعت ما حصل في يومي وكيف اتهمني ذلك الشاب وما قال لي في نهاية الحديث،
فهمت اني فعلاً لا انفع لشيء !

فماذا لو كان ذلك الشاب وحشاً من هؤلاء البشر الذين يقتلون ابناء جنسهم ؟!

واتخيل اني في كهف بعيد محبوسة ومقيدة يحرقون جسدي بـ حديد غارق في النار،
وامي وابي يبكون ويقتلون انفسهم من اجلي ، انا فعلاً لا انفع فقط اؤذي الجميع ، مجرد علة في حياة عائلتي
حتى لو فكرت ان اكون قوية واتحدى كل شيء ابقى مترددة خائفة .
بدأت ازور تلك الحديقة كثيراً لأثق بنفسي واعتمد عليها،

وانا اجلس على احد مقاعد الاستراحة جلس بجانبي قائلاً
كيف حال قلبي
نظرت للمتحدث واذا به هو نفسه
ثم قال الا تذكريني سارقة قلبي
نظرت له بخوف وغضب وقلت له
-لنتفق على انني سارقة الحلوى
قال
- ليكن، انتِ تدعين نفسك بهذا الاسم وانا ادعوكِ بذاك
-ولماذا ندعوا بعضنا ، من قال لك اننا سنلتقي مجدداً
-ولما لا نلتقي ، انتِ تأتين الى هنا دائماً وانا اساساً اسكن هنا
ضحك واشار لدكان صغير في جانب من الحديقة تحيط به
اشجار وورود
يشبهه ذلك المكان بالرغم من صغره وبساطته الى ان مظهره
لطيف وجميل
ولأني يجب ان لا اثق بشخص عليّ ان لا اتحدث معه طويلاً
،بقيت صامته ، فقال
-الم يعجبك المكان الا تريدن رؤيته ، او شراء شيء ما
ثم اكمل بسخرية ، او انكِ اعتدتِ السرقة
غضبت مما قاله وقررت ان كنت اريد ان اكون قوية يجب ان
احادث الناس واكتشفهم لا ان اختبأ وانظر فقط للعالم.
فقال حسناً يا سارقة لنتفق انكِ ضيفتي اليوم سأعطيكِ شيئاً
على حسابي وفي المرة الاخرى لا مجاملة اما تشترين بمال
واشر بيده واضعاً أصبع الابهام على السبابة(يعني بها النقود)
او لا يوجد شيء بالمجان!
-ومن قال لك اني ارغب بشراء شيء
-وهل انتِ ملاك او ما شابه
-لا
-انتِ بشر بالتأكيد

-طبعاً
-والبشر يأكل ويشرب ، ان لم تأكل تشربي وان لم تشرب تأكلي ولكل شيء حساب .
-حسناً ، وهل انت الوحيد هنا له دكان
-لا بالطبع
-اذاً ما يجبرني ان اشتري منك
-قلبي
-وما دخل قلبك بما اريد
- انتِ سرقته وهو لا يرغب الا بما ابيع
-اذاً سيموت قلبك جوعاً وعطشاً
لن اشتري شيئاً
-لن نصل لـ أتفاق هكذا ، انتِ عنيدة بجنون
-وانت بغيض .

واذا بكرة ملونة تقع قرب قدمي اخذتها بيدي واتى الاطفال ورائها ، طلبوا مني الكرة ، اخبرتهم اني لن اعطهم اياها ان لم يوافقوا على انضمامي للعب معهم ، فوافقوا
نهض هو وقال موجهاً كلامه للأطفال وانا لن ادعكم تلعبون ان لم انضم لكم

اشاروا لهم بيده ان يتقدم و ينضم لنا..
بدأنا رمي الكرة لبعضنا وواحد في المنتصف يحاول الحصول عليها ، ثم لعبنا فريقي كرة قدم ، فرحنا كثيراً واقتربنا انا و هو شعرت براحة معه وابتعد كل الخوف ،
اصبحت عطشى بعد الركض وراء الكرة واللعب مع الاطفال، تذكرت اني لا استطيع ان اشتري منه ماء وفقاً لحديثنا السابق

رحت اشتري من دكان غير دكانه ، لكن لم يبعني احد بعد ذلك عندما وصلت المحل الاخير فهمت لما لا يبعني شخص حينما رأيت البائع ينظر خلفي والتفت واذا به يشير له ان لا يبيعني .
وعلى غير العادة نظرت له وضحكت ولا اعرف كيف غمرت قلبي السعادة ولما فرحت بدل الغضب حتى هو اشار بعينيه مندهشاً ثم اقترب مني وقال
- تغيرتِ!
-هل تقصد ذلك
-نعم كل ما فيكِ تغير اصبحتِ الطف
-وهل كنت وحشاً
-لا كنتِ ملاكاً غاضب
ضحكنا ونحن نمشي الى مكان عمله اعطاني قنينة ماء

شربت كل القنينة دفعة واحدة واذا به يناولني واحدة اخرى لكني رفضت ولم اخذها ومددت يدي في جيبي واخرجت النقود وسألته عن السعر ، لكنه قال بغضب
-لن اخذ شيئاً
-وهل تبيع بالمجان
-نعم
-ولما اخذت مالاً من تلك المرأة التي اشترت منذ قليل ؟
-لأنها غريبة
-وهل تعرفني
-طبعاً مالكة قلبي !
-يا خالقي عدنا لقلبه
-وهل تريدين ان انسه
- لا بل تأخذه ، سأعيده لك الان ، خذه
- لا انظري كيف يبكي يريد ان يبقى معكِ ، عديني ان تهتمي به

- لا اعتقد اني استطيع الاهتمام بشيء ، حتى نفسي لا اهتم بها، خذه معك اضمن لك ولقلبك.
-لن اخذه
- وانا لا اريده
كان النقاش هكذا لا اعلم ان اخذ قلبه ولا ادرك ان احتفظت به.
توقفت عن الحديث وهي تنظر للنافذة نهضت لتقف بقربها وقالت
-الجو مخيف ، الثلج يتساقط كأن عاصفة ستقوم هنا او اعصار

اعتقد ثلاث ساعات بالخارج كفيلة بأنهاء روح كائن.
ردت ضوء
-لا اظن ذلك احياناً نخرج في مثل هذا الجو اذا نفد الخشب او احتجنا شيء من الخارج
قالت وهي تنظر الى عمق بعيد من النافذة
– البعض يتعود على كل انماط الحياة ويتماشى معها و يتقبلها بمرها وحلوها والبعض الاخر لا يستطيع ان يسايرها وينفذ ما تريد فينهي ايامه بسرعة ويتركها.
-ماذا حدث بعد ذلك؟
-حاولت ان لا اذهب ابداً للحديقة لكي لا اجعل شخصاً تتعلق حياته بي وانا حياتي لا املكها ولا اعلم ما تريد.
لأني بالرغم من عدم تعرفي لما حولي وعدم اختلاطي بالناس الا انني اعرف ما اراد ذلك الشاب وما الذي حرك قلبه ، لأني احسست به
لكن بعد اسبوعين وجدت نفسي هناك ، قدميّ اختارت او قلبي اشتاق له او قلبه اراد لقاء صاحبه كان منهمكاً يرتب بعض البضائع ،كانت كبيرة وواضح انها ثقيلة لكن هو يحملها بكل صبر وهدوء ، فيه صفات الرجولة وكل ما تحب الانثى ان ترى في رجل ، يتصرف باحترام ، مهذب ، يتقن حروفه ، باسم

الوجه، لا يقبل ان تتعذب انثاه ،هو مستعد ان يحميها ويدافع عنها ويلبي طلباتها، ويغضب لمن لا ينصفها، لا يقبل لدموع تهزم عينيها،
اقتربت من دكانه وقلت
-عذراً هل تسمح لي ان اسرق بعض الحلوى
ترك ما بيده ورفع عينيه باتجاه السائل فوجدني انا ضحكت عينيه فرحاً لم يستطع ان يخبأه وقال
-وهل السارق يستأذن ، هم يسرقون ويهربون ويمضون اسابيع لا يسألون عن حال من سرقوه.
-وهل السُراق بشعين لهذا الحد؟
- لا هم احياناً يكونون جميلين بأعين سوداء وشعر لطيف يغازل الليل لونه
-يبدو ان لهم صفات محددة
- لا هذه صفات واحدة منهم
-وهل تحفظ صفاتها هكذا؟
-طبعاً احفظ صفاتها رسمها يسكن عيوني، اريد ان اقبض عليها في يوم ما
-ستسجنها
-سجن مؤبد
-سأخبرها ان لا تأتي مجدداً ، والا قبضت عليها؟
- اخبريها ان تأتي والا غيرنا السجن للشنق .
-كيف حالك اخبرني ؟
- انا دائماً بخير ، عدا حين تأتين
ضحكت وقلت
-اذاً سآتي كثيراً ليسوء حالك
تحدثنا كثيراً وبعد ان ودعني
ادركت اني يجب ان لا اعود واننا فعلاً نحب بعضنا وهذا الامر محال ان يتم

فأنا اخاف ان اقترب من شخص ويتركني او اتركه ، لماذا اضيف اشخاص يخافون عليّ بـ الاضافة لأمي وابي .
حاول بعدها ان يجدني ويحدثني لكن صنعت كل المسافات التي تبعدنا ، رأيته من النافذة وهو يبحث عني في ارجاء المنطقة ويسأل
كنت اذهب لرؤيته في الحديقة من غير ان يعلم ،وفي يوم تاريخه كما اليوم ذهبت الى هناك يبدو انه شاهدني لكن انا غادرت بسرعة .
حينما وصلت للبيت وجدت حريقاً كبيراً ، بدأت اصرخ وابكي سألت عن والديّ قالوا انهم داخل المنزل !
كالمجنونة حاولت الدخول للمنزل والناس تمنعني
حتى ان رجلاً مسكني بقوة ، عضضت يده كالكلب المسعور ،وافلت منهم ودخلت بين النيران ابحث عن امي واصرخ أبي كيف لهم ان يتركوني بهذه السهولة ، من يبقى لي بعدهم اما اموت معهم او نحيا جميعاً ، هم يستطيعون البقاء من دوني ، هذا ما اعلم به وما اقنعت نفسي ، لكن انا لا استطيع لذلك طالما كرهت وخفت من فكرة تكوين عائلة وولادة طفلة تخاف ان يتركاها والداها يوماً واخاف كذلك ان يتعلق شخص بي ويكون وجودي مهماً له واختفائي ورحيلي سبباً لقتله،
فكرتي هذه لا اعلم صحتها كما اخبرتكِ سابقاً لا ادرك ان كانت افكاري وكل ما اظن واعتقد حقيقي او صحيح او العكس.
انا بين النيران لم اجد شخصاً بدأ لهب النار يحرق جلدي وآلمني ذلك بادئ الامر ، انظري هذه يدي حُرقت مدت يدها لتراها ضوء لكنها لم تشاهد اي اثر للحرق ، كانت يديها ناعمتان صغيرتان
ثم سمعت وانا في الداخل صوت امي تنادي طفلتي ، فدخلت اكثر بين النيران وعيناي لا ترى شيء وتبكيان والدخان يخنق نفسي ، لكن بعد قليل تأكدت ان الصوت يأتي من الخارج وبعد

صوت امي سمعت ابي يناديني ايضاً
اذاً كلاهما بالخارج !
لكن من هذا الذي امامي ويقترب مني
نعم هذا هو ، ما الذي اتى بك ؟
تبعتكِ وشاهدتكِ حينما دخلتي الى هنا ، لماذا تهربين مني؟
-انا لا اريد ان اقتل شخصاً
-ولماذا تعتقدين انكِ ستقتلين شخصاً
-حينما تحب احداً ويموت كيف تعيش بعده ؟
اكيد ستموت لفراقه.
- لا ليس بالضرورة هو يرحل لمكان يعيش به ونحن نفرح لأنه سعيد في مكان نرحل له جميعاً في يوم ما..
-لا لن اقبل ان يتركني شخص ، انا اخاف ان ابقى وحيدة
وقع على يده شيئاً من السقف اصابه
فاقتربت منه سائلة هل تأذيت؟
قال لنخرج الان
قلت له اذهب انت
انا لا اريد الخروج
قال بغضب ليس هناك اي وقت للعناد هيا تحركي
ابتعدت عنه ، اقترب واراد ان يحملني فضربته، لم تهمه ضرباتي المكررة وحملني ،
قلت له قررت ،اريد ان ابقى هنا
نظر لي مطولاً..
ثم ساد الصمت ولم تنطق كلمة
قالت ضوء
اخبريني ماذا حدث بعد ؟
وكررت السؤال، لكنها لم تجب واستمرت بالنظر للنار
ثم قالت سيأتي بعد قليل
-من ؟

-هو ، من سرقت قلبه ، موعدنا حان هو وعدني انه سيأتي ليأخذني
ضحكت ضوء وقالت لها
-اي مجنون سيأتي بهذا الجو؟
-هو مجنون لذلك سيأتي
وبينما هما يتحدثان سمعت طرق النافذة ، كما سمعته حينما اتت هذه الضيفة
قالت بفرح الم اخبركِ انه سيأتي
اتسعت عينا ضوء ولم تنطق بشيء من هول المفاجأة
نهضت الفتاة للنافذة تنظر فتأكدت منه
قالت ضوء
-دعيه يدخل
-لا سنغادر
-في هذا الوقت ، ستتجمدان ، ثم الى اين ترحلان ، والعتمة لن تريكما شيء
-نحن نعلم الى اين نرحل وندرك لما نحن هنا
فتحت الباب فدخل شاب كما وصفته هي من قبل
قبلها وضمها لصدره كانت معه كالطفلة السعيدة
ابتسم لضوء ورحبت هي به و دعته للدخول لكنه رفض
ونظر لحبيبته واومأ لها بالخروج
وقبل ان يخرجا قالت لها لم تخبريني ما اسمك؟
قالت سارقة الحلوى
فضحكت وسألت الشاب ارجوك اخبرني ما اسمها
قال سارقة قلبي.
وبينما ضوء تنظر لهما وتحادثهم واذا بهم يختفون فجأة
نظرت للأسفل لترى لا اثر لأقدام على الثلج
كيف رحلا هكذا هل حلقا للسماء ؟!

حالة ولادة

الساعة الحادية عشر وخمسون دقيقة ظهراً
الشمس حرارتها تغطي السماء والارض
الواحد والعشرون من آب (اغسطس)
بطن يملأها جنين ينتظر موعد خروجه
لم يبق الكثير يا عزيزي ، هي دخلت الشهر التاسع منذ خمسة عشر يوماً ، موعد الولادة اقترب كثيراً .
كانت في المستشفى وخرجت منها تواً ، تقف على الرصيف تنتظر سيارة اجرة تأخذها للمنزل،
هذه سيارة فارغة توقفت صعدت هي
عينان فرحتان مستعدتان لاستقبال الضيف الجديد
وجه ذا سمرة رائعة ، تمسح وجهها بمنديل اخضر ، حيث عَبرت درجة الحرارة عن ارتفاعها والجسم انتفض بغزارة التعرق،
ما ان وضعت قدمها ودخلت الى السيارة جلست واذا بيد تمسك الباب وتحاول الدخول ،
نظرت لصاحب اليد واذا بها امرأة في الخمسين من العمر
بيضاء البشرة ، عيون صغيرة، بسيطة الملابس ، وجنتيها احمرت من قوة الشمس
قالت المرأة الحامل بهدوء

-عذراً سيدتي ، انا استأجرت السيارة !
-حسناً عزيزتي ، اذا لم تمانعي يوصلني السائق معكِ.
استغربت الشابة الحامل للموقف واجابت بارتباك
-اذا كان السائق لا يمانع

هز الرجل رأسه وقال
-ليكن كما ترغبن
لم تنتظر المرأة الكبيرة جواباً وجلست بجانب الشابة الحامل انطلقت السيارة وقرر السائق ان يوصل المرأة الكبيرة اولاً لان مكان سكنها سيكون الاول في طريقهم .
بدأت المرأة الكبيرة الحديث قائلة
-انا ممرضة هنا في المستشفى التي كنا قبل قليل بقربها
- اهلا بكِ
-تستطيعين متى شئتِ زيارتي في بيتي وستعرفين العنوان قريباً حينما اصل.
استلطفت الحامل تلك المرأة بعد ان كانت خائفة من وجودها واستعادت تدريجياً هدوئها.
استمر الحديث والتعارف ثم وقفت السيارة بعد ان اشارت الممرضة (المرأة الكبيرة) للسائق بأن يتوقف عند منزل بابه كبير ابيض ، بعض اشجار حديقته مطلة على الجدار الخارجي للبيت ،
-تفضلي معي
- لا شكراً
-سأكون سعيدة ان زرتني في اي وقت هذا منزلي.
ابتسمت الحامل وحركت رأسها بالإيجاب.
خرجت المرأة واكمل السائق طريقه لتصل المرأة الحامل الى منزلها ايضاً.
بعد ان عادت قصت ما حدث لعائلتها لأنها كانت مستغربة ما حصل!
شعرت ببعض الالم ليلاً ولم تكن هناك عيادات طبية او مراكز صحية مفتوحة في ذلك الوقت.
قررت ان تذهب الى منزل الممرضة ، اخذها ابن عمها في سيارته وذهبا اليها ،

استقبلتهم المرأة بكل ود وحب وقالت لها
-لا تقلقي موعد الولادة ليس الان ، هو بعد يومين بالضبط .
كانت الضيافة والاستقبال رائع ولطيف ،
وبيتها انيق هادئ ،يشبه مالكته، تلك المرأة البسيطة ، هناك تحف ولوحات معلقة على الجدار
صالة كبيرة في احد زواياها درج تحيط به الورود .
ادخلتها لغرفة صغيرة فيها بعض الادوات الطبية وسرير لفرد واحد ، كان هناك سائل معقم وابر وقطن وادوات طبية ، جهاز قياس ضغط واخر للسكر.
غادرا المنزل واليوم التالي عصراً، ذهبت الى طبيبتها الخاصة لتتأكد ويطمئن قلبها على جنينها
أكدت لها طبيبتها الخاصة وكما اخبرتها الممرضة سابقاً ،
ان موعد ولادتها غداً ويجب ان تدخل المستشفى اليوم وقالت ايضاً ،
-الكيس الذي يحيط بالطفل مفتوح واعطتها ورقة لدخول المستشفى.
ما ان غادرت عيادة الطبيبة جهزت نفسها وذهبت مباشرةً الى المستشفى امضت ليلتها هناك ،
الساعة الخامسة صباحاً بدأت تشعر بألم المخاض ،
لم يكن هناك طبيب خاص ، انتظرت بصبر حتى الثامنة صباحاً ، جاءت الطبيبة المديرة لقسم الولادة ، فحصتها واشرت على ورقتها الخاصة كتبت خروج.
وقالت اليوم ليس موعد ولادتك لذلك كتبت لكِ خروج،
ردت المرأة الحامل وهي تتألم جداً
-كيف ذلك يا طبيبة ؟
انا اشعر بالمخاض منذ ثلاث ساعات!
نظرت لها الطبيبة باحتقار وغضب ولم تجب على سؤالها وغادرت لتكمل فحص الاخريات .

حاولت الشابة الحامل ان تتمالك نفسها وتصبر على ألمها وتنزل من السرير ، لأنها أُجبرت على ذلك.
حاولت اكثر من مرة لكن الحال صعب والالم قوي والطفل يكاد يخرج ، لكنها نجحت ونزلت من السرير ولملمت اغراضها وغادرت الغرفة
في طريقها وجدت الطبيبة المقيمة التي تعمل تحت يد الرئيسة التي منذ دقائق طلبت منها المغادرة،
فتكلمت معها واخبرتها ما حصل وهي تتنفس بصعوبة وجهها اصبح اصفر ولا تستطيع حتى ان تتكلم فرتبت حروفها بصعوبة حتى نطقت ،
هي كانت تعرفها في حالات معينة تراجع هذه الطبيبة في عيادتها الخاصة ،
قالت الطبيبة انها لا تستطيع ان تفعل شيء بما ان الطبيبة رئيسة قسم الولادة سجلت لها خروج،
اذن هي على حق ،
-كيف تكون على حق ، انا التي تتألم ، انه ليس طفلي الاول ،اعرف المخاض واشعر بما يحصل
الطفل سيخرج الان!
استردت ريقها واكملت موجهة كلامها للطبيبة المقيمة
ربما لو رايتيه يخرج الان لما همكِ الامر
المهم ان ننفذ ما تقول الطبيبة هي اعلم بما يحصل داخلي !
اما انا مالكة هذا الجسد فلا ادرك ما يحصل به!
اين الانسانية والقسم الذي تقسموه ؟
انتِ تعلمين حجم الالم ، انتِ ام كذلك!
لم تهتم لكلامها تركتها ومضت كأن شيئاً ما كان..
احست بألم قوي جداً لف جسدها ، وان ماء رأس الجنين بدأ يخرج ، وهي تشعر به،
ماذا تفعل ؟

اين المنقذ ، كورت يدها بقوة وضغطت اسنانها على بعضها، اصبحت تبكي من غير صوت ، اقتربت من الجدار ، اسندت جسدها عليه ، لكي تتمكن من الوقوف
ان الجنين سوف يسقط يا الهي !
ربما انه مات ، الماء كله نفد
بدأت تمشي ببطء ويسند جسدها الجدار ،الالم يقتلها تدريجياً، والخوف من انها ستفقد جنينها يبكيها ويؤلمها اكثر من المخاض، بسبب بعض الاطباء الحمقى تفقد جنين انتظرته اشهر !
تتعرق بغزارة وعينيها تبكي وكل شيء ينزل على وجهها ، لا تستطيع مسحه ، ولا يتركها ترى ما حولها ، وصلت باب الخروج من المستشفى لا شخص ينتبه لحالها ، البشر بلا قلوب انهم آلات تسير بأقدام وعيون!
نظرت حولها بصعوبة واذا بتلك المرأة ،
نعم هي الممرضة ، صديقتها التي تعرفت عليها في سيارة الاجرة
صرخت باسمها لكن صوتها لا يخرج مختنق ، اللعاب مثخن يغلق الفم،
مسحت عينيها ووجهها بيدها وتحركت بكل ما تبقى من قوة في جسدها ، بل بكل ما تبقى في قلبها من امل للإنقاذ طفلها،
وهي تمشي صرخت بالاسم مرة اخرى ،انتبهت الممرضة ، اسرعت لها مندهشة لحالها، سألتها
-ما الذي حصل ما بكِ؟
الم اقل لكِ اليوم ولادتكِ لماذا لم تلدِ الى الان؟!
قالت وهي تتنفس بصوبه وبكلمات متقطعة،
-الطبيبة سجلت لي خروج!
اشعر .. بالمخاض .. منذ الفجر
الماء خرج منذ فترة، ، اخاف على طفلي.. هل مات ..

اسندتها الممرضة اليها وطلبت من صديقتها الممرضة الاخرى احضار سرير ناقل، احضرته بسرعة واخذتها الى غرفتها الخاصة

ولدتها

انجبت بدقائق!

حين خرج الطفل وبكى ، امتلأت عينيها فرحا

لا تعلم كيف تشكر خالقها وكيف تشكر هذا الملاك

الممرضة التي جمعتها بها الصدف!

اصبحت تضع المال بيد الممرضة وفي جيبها ولا تتوقف حتى رجتها الممرضة ان تتوقف ، وقالت لها

-هذا يكفي ، جداً كثير

-انت انقذتِ حياتي بإنقاذ طفلي

لا تعلمي بماذا احسست حين طلبت مني الطبيبة المغادرة وكيف وصلت وماذا حصل لي منذ الفجر الى الان!

- لا عليكِ منهن ، لا اعلم كيف درست الطب

اذا كانت حالة كـ هذه تخرج؟!

غريب! رأس الطفل كان واضح والماء كله تسرب

الولادة كانت حادثة سواء تدخلت انا او لم اتدخل ،حتى ان لم تلتقيني كان الجنين سقط من نفسه وخرج.

النظافة من الايمان

صوت قوي يدخل اذني يخترقها يصل دماغي يزعجني ،
اغمض عيني لا ارادياً
دخان يخنق انفاسي ، حرارة تأكل وجهي ، انه سم خانق
لون اصفر يشبه لون النار او هو نار يشتعل امامي كيف ارى
وانا مغلقة العينين
الم في قدمي اليمنى، يصل كل جسدي ، ابر تخترق اعضاء
جسمي، ابكي بلا صوت ، اختنق، لا اشعر بشيء ، اختفى
احساسي فجأة
صورة امامي تتكرر كثيراً، تلك انا في الثامنة من عمري
صغيرة جداً يدي صغيرة، عيناي لطيفة بريئة اقف انا في
الطابور اول سطر، معلمة تقف امام كل مجموعة ، مرشدة لكل
مرحلة تقف امامي معلمتي ، افرح لأني بجانبها اشعر بفخر
كبير
لا اعرف كيف ترضى تلك الفتيات ان يقفن نهاية الطابور
انا اعتبر هذا ذل، اهانة ، كيف يتقبلن الذل؟!
ابتسم ارفع رأسي عالياً ، شريط يلمع في شعري اعلى ضفيرتي

صنعته امي امس ، سهرت من اجل ان تضع في نهايتيه خرز
صغيرة (نمنم) اتعبها جداً صنعه ، كانت الكهرباء مطفأة،
اشتغلته على ضوء مصباح نفطي صغير، انا سعيدة به
وبنظافتي وبوقفتي تلك انا الاولى في كل شيء
في الجمال، النظافة، الذكاء، احب ان اكون كذلك وطالما كنت
كذلك
يقترب المدير من منتصف الساحة ، يقف بشموخ وعزة نفس
احب هذا الاستاذ ، طالما تمنيت ان اكون كما هو ، قوية، رأسي

مرفوع ، يتكلم بثقة بصوت عال يسمعه كل التلاميذ،
لا يحتاج لـ مكبر صوت، احساسه يصلنا قبل ان ينطق، يقف خلف العلم على بعد قدم او قدمين عنه يقول بصوت عال ، النظافة من الايمان، ويكمل عليكم ان تحافظوا على نظافة المدرسة ..
اغيب انا بتفكيري عنهم يبقى يتردد الصوت في اذني النظافة من الايمان، يتكرر اكثر من مرة وانا استمع للصوت بهدوء، اذن النظافة من الايمان، انا اعشق النظافة ، امي دائماً تهتم بي وبملابسي وبنظافتها،
انا دائماً نظيفة لكني لم التقِ يوماً بأيمان هذا ؟
النظافة تأتي من ايمان، انا لم التقِ به
لكن اكيد امي التقت به وتأتي لي ولعائلتنا ولبيتنا بالنظافة منه، والمدير كذلك يأتي بالنظافة منه،
التفت حولي المعلمات ايضاً يأخذن النظافة منه وكل التلميذات
كم جميل لو التقيت ايمان هذا وتعرفت عليه ، اكيد انه نظيف ورائع ، وعطر ، بما انه مركز ومصدر النظافة!
انتبه للمدير يقول :
سنصفق الان للتلميذات الاكثر نظافة وذكاء ستعلن المعلمة اسمائهن
ويشير بيده الى معاونته الست جميلة
تذكر اسماء التلميذات ، انتظر اسمي بلهفة ، اصغي الى كل الاسماء وما ان تخرج التلميذة المعلن اسمها اصفق ، حتى توقفت ، لكن اين اسمي ؟
هي لم تعلن عنه لماذا؟
تلك الخائنة انا امقتها تناست اسمي عمداً
هي لا تحبني لأني اكثر ذكاءً من صغيرتها، لم تنس اسمي هي لا تريد ان تذكره
اصفق انا بكآبة ، عيوني تريد البكاء بكل غباء، يصفق المدير

ايضاً، ينظر لي بعطف،
هو يعلم اني نظيفة هو يرى ذلك ، ويدرك جيداً اني تلميذة مجتهدة ، انا مظلومة ، لماذا لم تقولوا اسمي ؟
يشير المدير الى معلمتي مرشدة صفي فتقترب منه يكلمها تشير برأسها تحركه للأسفل مرتين علامة للإيجاب على ما قال وتعود الى الطابور ، تقف في نفس مكانها بقربي ، تحجب اشعة الشمي عني، ثم تلتفت لي وتبتسم ،
وبصوته العال الواثق ينطق اسم ثلاثي كامل
التلميذة في الصف الثاني ، الشعبة الف، انها الافضل في النظافة والاجتهاد اختارتها الادارة هذه السنة قدوة لجميع الطالبات.
هل نطق اسمي ؟
ذلك الصوت الرائع نطق اسمي !
نعم هو اسمي ، بارتباك ابقى واقفة كالصنم في مكاني لا اتحرك، لا هو لم ينطق اسمي انا فقط احلم!
ينظر لي ويؤشر بيده ان اقترب ، تضع معلمتي يدها على كتفي وتقول تقدمي ، اذهبي
تمسح شعري بيدها وتضحك بشكل لطيف ورائع
اتقدم ، العلم مرتفع يرفرف فرحاً بقدومي ووقوفي الى جانبه، انا سعيدة اكثر منك ايها العلم،
اقترب من المدير انظر له نظرة خاطفة وانزل رأسي للأسفل ، هذا الرجل الرائع
انا الان بقربه ، هو القدوة لنا جميعاً
ينحني ليقبل رأسي ويمد يده ليسلم عليّ
ترتجف يدي تحتضنها يد ذلك المدير والاب العظيم معلمي الاول، يأتي معاونه الثاني يعطيه هدية مغلفة بلون احمر هادئ، يلتفت للطلاب قائلاً
انا لاحظت نظافة هذه الفتاة

كل يوم حينما تأتي وتذهب من المدرسة، كذلك سألت عنها معلمتها فأشادت بها واخبرتني انها تلميذة ذكية ومجتهدة تحمل كل الصفات المثالية للتلميذ ، لذلك قررت الادارة ان تهديها هذا الكتاب والقلم
يعلوا التصفيق يشعرني بالفخر ، الغرور ، النشوة .

انزل رأسي ارى حذاء مديري انها تلمع نظيفة، يبدو ان المدير على علاقة قوية بأيمان ذاك!
اعود الى مكاني فرحة بما لدي ، لكن اريد ان اجتهد اكثر انا اعلم كيف اكون كذلك بالقراءة،
لكن والنظافة؟
امي ، نعم امي ستجعلني التقي بأيمان الذي تأتي لنا بالنظافة منه وسأتوسل له ان يغرقني بها،
بعد هذا اليوم الجميل ، اعود للبيت ، اركض في ارجائه ابحث عن امي ، اين هي؟
تخبرني اختي انها في السطح، اصعد الدرجات من غير ان اشعر بها ولا هي احست بوقع اقدامي عليها،
اسأل امي بسرعة وانا الهث ، امي اين ايمان ، اين يقع ؟
اخبريني بسرعة ، امسك كتف امي واهزها بقوة الاطفال التي املكها، كانت امي تفترش الارض جالسة تضع بعض الحبوب في (صينية) وتنظفها وتخرج منها الحصى الصغير او اي اوساخ،
تنتبه لي امي وتسأل بدهشة
-عن اي ايمان تتحدثين؟

-ايمان الذي تأتي منه النظافة، انتِ تأخذين منه نظافتي ونظافة بيتنا ، اين يسكن يا امي اخبريني ويبدأ صوتي بالتوسل والرجاء

لكن امي الى الان لم تفهم الامر وعلامات الدهشة واضحة على وجهها.
-حسناً سأخبرك كل شيء ، لكن ان فهمت ما تريدين !
- امي الم تسمعي بأن النظافة من الايمان
-بلى
-هذا كل ما في الامر ، انا اريد ان اتعرف على ايمان!
وتبدأ امي بالضحك بصوت عال ، ويرتفع حتى تركت الصينية ووضعتها على الارض،
ثم حطت يدها على صدرها تحاول ان لا تختنق من الضحك، عينيها تدمع
يعلوا الصوت من جديد ، الذي اخترق طبلة اذني منذ قليل يمتزج مع صوت ضحك امي ،
قدمي يعود المها، الوجع يجري في جسمي ، جسدي الكبير ، انا لستُ تلميذة الان ،عمري ضعف عمري ذاك، لكن القلم بيدي لم اتركه طوال تلك السنوات، لا يكتب الان لكن انا احتفظ به!
احاول ان انظر حولي ، اناس كثيرة تركض هنا وهناك، انا على الارض ممددة ، مصدر الالم قدمي ، اين هي؟
المسها ، يترطب كف يدي ارفعها امام عيني لون احمر ، دماء تملأ يدي،
اعود بالنظر لقدمي وساقي ، غير موجوده ، يا خالقي!
من الركبة الى القدم غير موجود اختفت
نعم اختفت ستعود ، هل انتظرها، لن انتظرها سأبحث عنها،
انا رأيت من قبل لعبة سحرية تأخذ الرأس وتعيده ،
اذن ليس صعبا ان تعود قدمي بما ان الرأس قد يعود!
التفت حولي ارى اصابع، جثث ، طفل محترق عبارة عن قطعة فحم، ابحث عن قدمي ، ايها الطفل هل تسمعني
لماذا لا يرد ، هو حتى لا يبكي؟
ان الاطفال عادةً يبكون بصوت مزعج !

ازعجني الان ، اجعلني اغضب ، لماذا الصمت، صوتك بالتأكيد الطف من هذه الضوضاء التي تحيط بي.
دخان يملأ الجو تصعب الرؤية ،
ضاعت قدمي ، كل رجلي ضاعت،
كيف اجدها في هذا الخراب، يد تمسك بيدي ، تسألني ان انقذها، بصوت مخيف تكرر الكلمة انقذيني ،
صوت مبحوح صوت بلا صوت،
انظر لمصدر الصوت، وجه بلا عيون وجه بلا وجه ملطخ بلون احمر ، اين انا ؟
ما الذي يحدث، اشباح ، لو كان هناك اشباح لماذا لا اشعر بخوف!
قلبي ينبض ببطء ، اختنق تدريجياً ، ابقى ممسكة بتلك اليد، وهي تمسك بي بقوة،
صوت ناعم يسألني ، هل انتِ بخير، انظري الى يدي ،افتحي عينيكِ بهدوء ،
-ما هذا ؟
اجيب من غير ان اشعر
-واحد .
يسأل مرة اخرى
- وهذا
لكن لا اجيب انظر حولي جدران بيضاء ، اسرة كثيرة ، اناس نائمة ، اجساد تمشي ترتدي الوان بيضاء ، يتحركون بسرعة ، لا استطيع ان اعدهم ، لا ينتظرون حتى اميزهم!
يعود الصوت ، ما هذا ، كم الرقم؟
-انه اربعة!
يخبرني ان احرك عينيّ يميناً وشمالاً
افعل ما يريد وانا انظر حولي ،
يعود ليسألني فلا اسمع سؤاله،

يقول انتِ فتاة مشاكسة بهذا الحال ولا تهدئين ، ركزي معي انتبهي لي،
استجيب لطلبه انظر له
رجل جميل ، نظيف ، ابتسامة ترتسم على شفتيه، يرتدي لون ابيض ، ناصع البياض،
اقول له بهدوء انت نظيف ، نظيف جداً
يضحك بصوت عال ، يلتفت الى الجهة اليسرى من السرير الذي انا عليه، يقول هي بخير الان، وينصرف.
امي تلك!
تبكي
لماذا عينيها تمطر دموع، تمسح انفها وعينيها باستمرار

انظر لها واقول فمي يابس ، اشعر بأنه حجرة ، تتناول كأس ماء من الطاولة الصغيرة بقربها،
ترفع رأسي بإحدى يديها وتسقيني ماء باليد الاخرى،
لماذا انا لا اشرب بنفسي ؟
لا اشعر بجسدي!
انتهي من الشرب، اسألها ، لماذا يضحك ؟
الا توافقين انه نظيف
تبتسم بوجع لا يُخفى وتقول

طبعاً نظيف هو اكيد على علاقة جيدة مع ايمان!
انتبه لصوت امي ، انظر لجسدي ، تبكي عينيّ بقوة.

اب للإيجار

احاول ان اتمالك نفسي وامشي ، اتصنع قوة كاذبة ، ارفع رأسي اتوجه لمكتب المدير ،غباءً ما افعل ،ادرك جيداً اني لن احصل على شيء..
فجأة اتذكر صوت اخي صباحاً كان جالس بقرب المدفأة ،عيناه تنبضان غضباً وحقداً
قال لأمي
-لن اسامحه ابداً ، لن اسامح ذلك الشخص الذي يسمى ابي ، حتى لو كنت على فراش الموت وطلب السماح لن اوافق!
يستمر بالنظر لأمي التي تعد المبلغ المتبقي من راتبها الشهري، تريد ان تتأكد اذا كان ما تبقى يكفي لتذهب الى الطبيب!
او انها تؤجل وجعها لكي نأكل
تركت ما بيدها ونهضت ترتب الغرفة وقالت
-يا ولدي ما زلت صغيراً لا تقل كلاماً كهذا مرة اخرى ستحتاج ان يسامحك ابنائك في وقت ما..
-لن افعل بهم شيئاً ، محال ان اكون كأبي ، سأكون اباً باراً
لقد وصلت كأني استيقظت ، كيف مشيت كل تلك المسافة ولم اشعر بها؟
انا مشيت الحياة كلها ولم احس بها ، لماذا استغرب الان!
اقف امام الباب ، اطرقه بخفة
افتحه من غير ان اسمع اي اذن بالدخول !
لا سكرتير هنا غير موجود مكتب صغير في زاوية ، باب اخر لكن مفتوح ،غرفة كبيرة تدخل عيناي قبل قدماي
مكتب خشبي ، مكان انيق ،نظيف ، يجلس وراء المكتب ينظر

لي بعيون واسعة
اتقدم واقول بارتباك
-مرحبا استاذ!
-اهلاً
هل الحروف تباع يا سيدي ، حتى تختصر كلامك هكذا؟!
او نحن اصبحنا ثقيلين جداً على قلوبكم!
عموماً بيدك السلطة وليس الارض ولا السماء
اقول بهدوء
-هل وصلكم الكتاب الذي ينص على التعيين ؟
-الكتاب وصل لكن لا توجد درجات وظيفية ، لذلك رفضت الكتاب!
اريد الرد ، اريد الكلام لكن اختنقت ، البكاء الذي يدخل بين الحروف منعني ،
لم انتفض حتى بالكلام لن اثور ، صامتة لا انطق ..
انسحب بخطى متثاقلة ، اغلق الباب
يخيل لي اني ما زلت امامه
اصرخ به
الم تشبع بطونكم الى متى ستظل رقابنا بين ايديكم؟
لماذا لا توجد درجة لي بينما توجد لأبنائكم؟
لما تعبنا ، درسنا سهرنا ، ماتت قلوبنا مع اعلان كل نتيجة !
اهالينا الذين صرفوا وربوا وينتظرون ثمرة تعبهم ونحن ايضاً ننتظر سنين ندرس اين موسم الحصاد ؟
زرعنا يختلف يحتاج وقت نتخرج وننتظر بلا فائدة،
نسى موسم الحصاد ان يأتي !
او انتم من جنيتم ما زرعنا
ثم ماذا ؟
نعيش بفشل كل احلام الشباب بلا فائدة ، حتى من يريد اكمال دراسته عليه ان يصرف مبالغ هائلة، هو بلا تعيين وتطلبون

منه المال !
لم ولن تشبع بطونكم ولا تقنع عيونكم.
كيف حسبتها يا لوقاحتكم !
هل يعلم المسؤول كم مرة نحلم اننا في امتحان وتأخرنا عن الوصول !
او كم مرة استيقظنا كالمجانين نظن ان لدينا امتحان واستغرقنا في النوم كثيراً ، هذه حياتنا حتى بعد ان تخرجنا!
الا نستحق ان نكافئ بالتعيين على تعبنا واجتهادنا
مسؤول كم اشعر بالقرف من هذه الكلمة
امشي كأني مغمضة العينين لا ارى شيئاً فقط اريد ان امضي المسافة بعيدة للبيت يجب ان اتصل بالسائق لأعود
الهاتف اين هو ؟
في جيب معطفي !
لا شحن فيه البطارية نفدت يا لحظي
لو وزع حظي على الكون لأصبح العالم جميعه بائس
اكملت سيري بعد خروجي من البناية
لا انوي على شيء حتى تفكيري توقف واحساسي بالأشياء وبمن حولي ، اصبحت لا اشعر بشيء ولا اريد ان افعل شيء فقط قدميّ تمشي وما زالتا كذلك ،
صوت يناديني ، سألني هل رفضوا طلب الوظيفة
التفت رجل كبير يضع على رأسه قبعة قديمة مهترئة يرتدي ملابس فضفاضة ،
اقول له ببرود نعم ،يرد بتعب وحزن لو كان معكِ مال لما رفضوكِ هم هنا يقبلون الرشوة !
اجيب وانا اضحك بسخرية والم
مال !
ومن اين آتي به ولو كان عندي لماذا اتعب جسدي بالعمل ؟
احدث نفسي ، انا احب العمل لمجرد العمل ولو كان معي مال

لعملت ايضاً
اعود بحديثي له لا املك مال وان ملكته لن اعطي رشوة!
يقاطعنا شاب يبدوا انه كان يستمع لنا
-المال ليس مشكلة المهم ان يكون الانسان ذكياً ونشيطاً ليعمل
غضبت لكلامه وبصوت عال قلت له
لا انه المال المشكلة
المال ، المال
انه مشكلة العصر

انه مشكلة الكون

والكل يرفض ان يصدق هذا ، بل احياناً نلجأ لكبريائنا ونقول اننا من نصنع السعادة وليس المال,

لنفرض ان روحك في اتم سعادتها بالرغم من جوع معدتها ، وبرودة عظامها ، وتلف اعصابها من بكاء المساكين حولك

وشدة غضبك من قسوة اصحاب النفوذ ، انت بكل كبرياء تجاوزت كل هذا واخبرتنا انك سعيد وانت صدقت كذبتك ، انت سعيد نعم انت سعيد بكل هذا البؤس والظلم

تمام فهمت انك سعيد لكن ماذا عن رفض الاخر لسعادتك هو لا يتحمل كما انت، ذلك الطفل ليس قادر على ارضاء معدته واعصابه وروحه كما تفعل انت ، اخبره بحل
اكذب عليه ارسم له شكل مائدة وطعام هذا ان استطعت ان تملك ثمن ورقة وفرشاة!

يا غريب الحال لماذا تكذب على نفسك انت بائس..

اقول لنفسي بسخرية يحدثني عن الاجتهاد والذكاء وكأني لم

اكن الاولى في دراستي ولستُ متفوقة غباء!
ينصدم الشاب لكلامي اترك عينيه المندهشة واغادر
تتوقف سيارة ينزل منها رجل اربعيني
ينشغل فكري بتلك السيارة واريد ان اكون بها ، كأنها المنقذ
انجذب لها بسرعة ، اصرخ من غير وعي
-توقف .. توقف لا تتحرك انتظرني
ينتبه الرجل الذي نزل منها تواً ويتكلم مع السائق يخبره ان لا يتحرك !
امشي بسرعة ومن غير ان انظر لذلك الشخص ولا للسيارة ولا للسائق ، اصعد واخبره بالمكان الذي اعرفه تلقائياً ،
ولا اظن اني اعرف غيره، منزلي ، بيتي ، امي هذا كل ما ادركه
انظر للنافذة ، لا ارى شيء محدد ، كل شيء يمضي سريعاً بلا توقف
من غير ان اراه،
هذه الدنيا تطلب مني ان اكون تافه
انها تريدني ان اظلم واسرق
انها تطلب مني ان اترك قلبي
وانسى خجلي وانسى نضوج عقلي
واسعى ورائها لاهثاً واتبع غبائها كما فعل اصحاب الثروات الغبيه

ابي لماذا فعلت كل هذا؟
الم تستطع ان تكون اباً افضل؟!
اه يا الهي ذلك السائل الذي تفرزه عينيّ يحرق وجنتي !
يؤلمني كأنه يخرج من قلبي ،
هل برأيك هذا الوقت المناسب للهطول ، امسحه بقوة كأني اريد ان اضرب تلك الدموع واعاقبها ولكن للأسف لا اعاقب الا

نفسي !
من هذا ؟
ارى وجه السائق في المرآة منعكس !
هو نفسه الذي التقيته منذ فترة وكان شخصاً سيئاً جداً ، اتذكر كيف عاملني وطريقة كلامة وسوء الفاظه، انه فعلاً يوم سيء.
-من فضلك اوقف السيارة هنا
-لكنك لم تصلِ لوجهتك
-نسيت اني اريد الذهاب لخالتي ، توقف هنا لطفاً
اضع المال على المساحة بين الكرسين الامامين واخرج مسرعة كأني اهرب ..
ما زلت اهرب من كل شيء لا اجد له حلاً !
امشي اسرع واسرع حتى اصبح التنفس صعباً
اتوقف لأهدأ قليلاً، اضع يدي على عينيّ ، ثم امسح بكلتيهما وجهي ، كأن هناك كابوساً امامي واريد ان امحيه!
يعود حديث الصباح يشغل تفكيري
يُكمل اخي قائلاً

-يسألني صديقي لماذا تتكلم دائماً عن والدتك ، لم اسمعك يوماً تذكر شيء عن والدك ؟
فأجيب بارتباك لا فقط لان الامور التي تكلمت عنها غالباً تخص والدتي
هكذا اخبرتهم يا امي
لكن قلبي يؤلمني اوجعني سؤاله
ماذا اقول لهم ابي ندم لأننا ولدنا
او ندم على زواجه
او انه يعيش عمر ما قبل الزواج ونسي ان له اولاد!
صرخت به امي قائلة
-كيف تتحدث بهذه الطريقة عن ابيك

هل ربيتكم هكذا؟!
-ولماذا لم يتعب نفسه هو بتربيتنا؟

اه يا امي لو تعلمي كم أُفضل لو انه ميت لقلنا والدنا متوفي ونثير الشفقة بهذا الكلام ولا نثير الالسن التي لا تصمت

انهاني الخراب الذي خلفته فيّ يا ابي
قتلتني وانا على قيد الحياة، سامحك الله على ما فعلته
انا لا استطيع انسى او اسامح ، لستُ انسان يا ابي ، لستُ على قيد الحياة، بلا روح انا منذ خنتني.
كنت وجعي الذي لا يُحتمل، كنت انحناءة ظهري.
كنت ألمي وصدمتي واليد التي تعتصر قلبي.
كنت كل شيء موجع في حياتي، كنت دموع عيني وجرحي.
كنت خائني الأول، الذي خان طفلةً تمنت أن تبقى ترقص على كتفيك، تمنت لو بقيت جالسةً في حضنك.

خسرتني كصديقة، وخسرتني طفلةً وبنتاً.

الوجع أن إسمي دائماً يذكرني بك، كلما كتبته واجباً عليّ أن أكتبك معه.

الفقدان صعب وانت خذلتني، لم يجرحني أحد كما فعلت، لم أتعلم درساً من حياتي ولم أجرب أي جرح او خذلان فمن خذلانك تعلمت وإكتفيت.

كنت درس حياتي، وبعدكَ لم يستطع احد التقرب مني حتى يخذلني، أصبحت قاسية جداً وباردة، وهاربة من الحياة بإبتسامة شقاءٍ متعبة.

كان اولى بك ان تظل ذلك القمر الذي أعشقه، والكائن الذي أقدره، كان أولى أن تظل أبي على أن تنتقل ببرود من أرضي وحياتي.

أصبحت أخاف كل نداء وكل صوت ينادي بإسمي فلا سند لي، ولا ظهر يحميني.

أقف أمامهم مكسورةً خجولة ودموعي تتكلم بضعف. ولا استطيع الدفاع عن حقي.

كان يجب ان تكون هنا، كان يجب ان تكون معي، كان يجب ان تبقى أبي.
طفلتك التي فتحت عينيها على عينيك، حتى عشقتهما، طفلتك التي تحبها وتسميها بأجمل وافضل الالقاب، طفلتك التي تدرك جيداً انها لن تحب شخصاً كما أحبتك، تركتها في وقتٍ مبكر بعد أن تعلقت بك، لما هذا الخذلان؟
لما كل هذا وأنت تدرك أنها لن تعشق شخصاً بعد الان، بعد كل هذا الجرح كيف أثق بإنسانٍ آخر؟
الحياة ليست إلا تجربة وأنت تجربتي الاولى التي ختمت بها حياتي، أنت تجربتي الخاسرة التي قوتني لكنها قضت عليّ، أنت الدمعة التي مازالت تهزمني.

بلا طعام تركنا منذ يوم ، بعد ان تناول الطعام الذي اعدته امي ،وتعبت كثيراً من اجل احضاره في النهاية كان من نصيبه، لكن بعد هذا يكافئنا بالرحيل ونحن بلا طعام ، يهمل اطفاله وعائلته ثم بعد ايام نسمع خبر زواجه!
نسمعه ! لا نعرفه نحن ، وصلنا عن طريق بعض الاشخاص فنحن لسنا مقربين بما فيه الكفاية ليدعونا لزفافه!
مال الزواج هذا اليس اولى ان يكون لأطفاله؟

في وقتها كنت احتاج بعض المال لإكمال دراستي ، استلفت امي المبلغ وتزوج ابي بالمال الوفير الذي لديه ، ثم رزق بأطفال كأنه لم يكن لديه اطفال من الاساس!
الطريق ما زال طويلاً!
غريب هل هو نفسه الطريق الذي كنت اقطعه بالسيارة غالباً لا يكلف وقتاً اكثر من عشر دقائق،
الايام السيئة طويلة جداً تشعر ان لا نهاية لها وكلما تقدمت ساعاتها تسوء اكثر وانت تظنها ستتحسن قليلاً.
خيبتي آمالي ايتها الحياة ، لم تنتظر منكِ طفلتك كل هذه القسوة،
كنت احلم كثيراً ، هل ازعجتكِ احلامي؟
تظهر الشمس وتختفي اظنها تريد ان تشغلني عن كل هذه الافكار ، تظهر تعاتبني لأني لم انتبه لها تختفي وراء غيمة!
هناك في اعلى تلك البناية اعلان اتوقف عند كلمة ثق بنا
اضحك بسخرية ، ثم اضحك بصوت عال ثقة!
لا اثق بكاتب ولا فيلسوف ولا عالم ، ولا بمتسول ولا بأبي
انا ببساطة لا اثق بشخص تمام الثقة، ولا اصدق بهم ، غالباً كل الاشياء العظيمة اذا تعمقت فيها تلاشت لذلك منذ البداية خطأ تسميتها عظيمة،
عندما تقدم شاب لطلب اختي ، توقفت الساعة في المنزل ،ماذا نقول عن ابيها؟
وكيف ندعوه للحضور؟
ليلتها فكرت هل يوجد اب للإيجار؟
ولو وجد كيف سيكون منظره؟
اب بأذرع طويلة ليضم اطفاله بين اذرعه !
ثم يقبلهم وينامون على اذرعه الطويلة التي خُلقت من اجلهم يستمدون طاقة منه ، يعوضهم عن قسوة الحياة ،
كلما جرحتهم الايام اسرعوا له ليزودهم بالحب والقوة ليعودوا

من جديد يستقبلون الايام بكامل قسوتها فهم اصبحوا ذو مناعة
اعجبتني فكرة اب الايجار هذا !
لكنه للأسف غير موجود،
اذا كان اب غير حقيقي وتم ايجاره يكون بهذا الحنان
اذاً كيف يكون الاب الحقيقي؟
ربما ظن ابي اننا سنواجه الحياة ونكون اقوياء لوحدنا ، لهذا
صنع اسرة اخرى لكن هل سيعتقد ان اطفاله الجدد سيكونون
اقوياء كذلك ويذهب لتكوين اسرة اخرى؟ ..اب الاقوياء !
الاب الذي ابنائه يتامى لأب على قيد الحياة، يتركهم لأنهم
اقوياء منذ خلقوا !
ابقى اردد بسخرية اقوياء نحن
اقوياء تبكيهم كلمة !
كل هذا غباء .. غباء .. غباء
متعبة انا لا يوجد مكان استرح فيه، اجلس على الرصيف ،
الجميع ينظر لي كأني لوحة للعرض او شيء غريب!
بينما لا يلتفت احد لفقير لو جلس وسألهم مساعدة ، بل
ويهربون منه ، يتظاهرون بأنهم لا يروه ولا يسمعوه كذلك ،
هو مخطأ لماذا يطلب شيئاً ويذل نفسه اقصد اولئك الذين في
كامل صحتهم !
اعلم ان هناك خائني الوطن اسمع عن هذا كثيراً، لكن الان
متأكدة ان هناك ايضاً وطن خائن
وطن خائن يتعلم ان يخون ، حينما يشاهد كل من حوله خائن
يساير هو التيار ويصبح خائناً، لذلك كلما حررناه اشتاق للحرب
والدماء، ارضه لا تسقى الا به ، ولا تمطر الا دموعاً!
وطن يعجبه تساقط شبابه واحداً تلو الاخر!
يتلذذ بضياع الاحلام وفقدان الامل!
وطن تعلم ان لا يكون حضناً
يفتقد للحنان ، وطن مكسور مختنق يائس من الذين باعوه بلا

ثمن!
قسموه قطعاً ، اجزاءً ، لم يستطع ان يتعلم ان لا تحتضن جباله نخيله ، لم يتقبل ضياع اراضيه هو لا يرضى ان يتبعثر ترابه!
لذلك حاول ان يتعلم الخيانة حتى يخون نفسه ويعيش ليتسمى بالاسم فقط وطناً، الاوطان كالبشر كلما قسينا على احدهم اصبح بارداً لا مبالي حتى ينتهي الامر ويكون قاسياً اكثر منا!
-لا تبكِ على احد

تيقظني هذه الجملة من السبات الذي كنت فيه ،
امرأة عجوز تحمل كيسا ابيضا كبيرا بيدها اليمنى ، ترتدي الوان ترابية هادئة ، عيناها رائعتان بنيتا اللون ، فيهما قوة غريبة تشعر بها ما ان تنظر لهما،
تلاحظ اندهاشي ، تُكمل حديثها وهي واقفة بقربي وانا جالسة على الرصيف
-هل جرحكِ احدهم
-لا جرحوني كلهم !
-لا تصدقي الذكور ابداً، الرجال يختلفون عنهم
- كيف؟
-ستظهر من تصرفاته وكل عمل يقوم به انه ذكر وليس رجل لا يتحمل المسؤولية ، اختبريه بأبسط الاشياء ستجدين حلوله تافهة تشبهه، اما الرجل فحلوله افعال مباشرةً يقوم بكل ما تحتاجين وبما لا تستطيعين انتِ فعله سيساعدكِ كما الرجال.
قاطعتها قائلة
-حقيقة لم اكن بهذه الحال بسبب رجل معين !
كنت فقط متضايقة من كل شيء
-انسي لا تكوني حاقدة!

-لماذا من لا ينسى من ظلمه يسمى حقوداً

أليس من ظلم اولى بأن يسمى هكذا!
-لان علينا ان نعيش لذلك يجب ان نتحمل!
-لان علينا ان نعيش لذلك يجب ان نتحمل جملة في محلها قاسية لكنها واقعية ،
ومن لا يريد العيش هل عليه ان يتحمل كذلك؟
-عليه ان يتعايش فقط
-عموماً ليس سيئاً ان نغامر فما الحياة الا مغامرة تنتهي في يوم ما لماذا نتعب انفسنا في التفكير فيها؟
-انتِ جميلة جداً
اغرقتني جملتها الاخيرة في بحر من السعادة لا وصف له هي فقط نبضات قلب تتراقص لا توصف رقصتها
نهضت ابتسمت لها
اقتربت مني ضمتني وقبلتها على جبينها ، كانت رائعة كالجنة اذاً الكون مليء بالأشخاص الرائعين ليس مليء بالسيئين فقط، اولئك الذين يزورون حياتك صدفة هم هدايا من الخالق لكي يكون يومك جيد واحياناً لتكمل حياة كاملة معهم فيكونون سنداً يحميك من قسوة الايام

اعود لأمشي ، لكن هل سأكمل الطريق للمنزل مشياً؟
حسناً لنمضي كما تريد الحياة.

الانتحار

(سر اسطوانة سر)

الساعة الثالثة ظهراً من شهر تشرين الثاني ، الشارع الرئيسي صامت في الحي القديم ،
سر في المنزل مع والدتها المريضة ، اخوها ذهب للعمل ،
طرق الباب فتى صغير وصرخ قائلاً
-بائع الغاز وصل
شعرت سر بالحيرة وهي تنقل نظرها بين امها المريضة واسطوانة (قنينة) الغاز الفارغة ،
كيف تخرج ؟
لكن عليها ان تفعل !
اخوها غير موجود والا كان قد فعل كما يحصل دائماً.
في الحي القديم ، لا نساء تخرج من بيوتها ، عليهن ان يموتن جوع وصمت ،
في الحي القديم الايمان على اعلى مستواه ، لذلك يمتلك الشيوخ قصور والفقراء اكواخ من الطين وان تحسن امرهم من الطابوق العتيق!
في الحي القديم لا صوت لامرأة يُسمع والا قُتلت ،
وان نطقت سوف تقتل نفسها هي ، بعد ان تسمع ما يُقال عنها من الناس.
سر تفكر وتفكر ، نظرت الى حجابها وعباءتها ، مدت يد ترتجف واخذت حجاب كبير اخضر لفته على رأسها ، وهي مرتبكة سحبت العباءة ووضعتها على كتفيها واغلقتها بسحابها الموجود على طول منتصف العباءة السوداء ،
ثم نظرت لأمها مرة اخرى ،

لو كانت والدتها غير مريضة لاستطاعت ان تخرج ، فالمرأة بعد عمر معين في الحي القديم تستطيع ان تخرج ، كأنها في ذلك العمر يطلق سراحها ، هو عمر يسموه اشبه بانتهاء الصلاحية ، فالعقول هنا تقيس الاعمار كما تفهم ابدانها وغرائزها ، كالحيوانات .

ذهبت الى المطبخ بخطى بطيئة وفكرها لا يهدأ يأتي بسؤال تلو اخر ، اخذت القنينة وحملتها وجدتها ثقيلة عليها ، لكنها تحملت ، كما تتحمل عمل المنزل وتنظيف الاغطية الصوفية والافرشة القديمة الثقيلة ، التي تحملها على ظهرها بعد ان تتشرب تلك الافرشة الماء وتصبح ثقيلة ، لكن اليوم الحمل في عقلها وهنا يصعب عليها ان تتحمل ثقلين،

اخذت القنينة وفتحت الباب بهدوء واخرجتها

ثم عادت لتكلم امها وتستأذنها، ايقظتها بهدوء واخبرتها عن ما تريد فعله

قالت الام

-هذا انتحار يا فتاة ، انا لا امانع واعلم ان ما ستفعلينه ليس خطأ ، لكن تعلمين جيداً ما ستواجهين ،هل انتِ قادرة على ذلك؟

-سأتحمل يا امي ، يجب ان اعد الطعام لأخي ولكِ من اجل ان تتناولين علاجكِ ، هل اتركك تموتين من اجل الخوف وليس الحق ،

بشر يخافون من قول الحق وكأن الموت ليس واحد، قالت تلك الجملة وهي تهم بالخروج ، تبعتها امها بنظرها حتى خرجت ، كان قلبها وروحها ودعائها معها ، تمنت لو ان الله يمنحها قوة ضعف قوتها ،

كان الشارع ضيق ، تحده البيوت من الجانبين ، وفي نهاية الشارع موجود بائع الغاز وهناك قد تجمع الناس واغلبهم من الرجال مع النسوة المنتهيات الصلاحية كما يسموهن اهل

المنطقة الاذكياء!
وتقريباً اي انثى تتزوج يُطلق عليها هذا اللقب .
اخذت تمشي واصبحت متعبة وعينيها تنظر بخجل للبيوت خوفاً ان يلتقطها شخص،
لكنها بعد قليل ستصبح بينهم ، ستجد نفسها واقفة بين الجميع انزلت القنينة ووضعتها على الارض واذا بقوة عجيبة تخترق قلبها وعقلها دحرجت القنينة او الاسطوانة ارتبكت لسماع اول صوت من جراء احتكاك قنينة الغاز بالأرض ، لكنها فجأة وجدت سؤالا واحدا يصرخ بها ، ذهبت كل الاسئلة التافهة التي كانت تخاف اجابتها ، اسئلة تطلقها عقول والسنة مجتمعها لا هي ، لكن هذا سؤالها الخاص الذي تريد ان تصرخ به الان ،
-من حرم خروجي ؟
بدأت تدحرج قنينتها بقوة وسرعة ، عندما وصلت كانت تنظر للأرض كأنها تعد ذرات التراب والحصى ، لكنها تشعر بالعيون تخترق جسدها حتى شعرت انهم يأكلوها ، انهم غاضبين منها ومن فعلتها، يكادون يحرقوها وهي حية ، عليها ان لا تنهزم ولا تستسلم ، فلو استسلمت لماتت ببشاعة ، حينها سيقولون عنها ما يريدون ، اما اذا لم تستسلم حتى لو ماتت ستموت بكرامتها بعد ان دافعت عن حقها في الكلام .
تقدم احدهم باتجاهها كان عمره بين الخامسة والثلاثون والاربعين ، ضخم الجثة ، طويل ، اسمر البشرة ملتحي ، فص عينيه الابيض فيه شعيرات حمراء ، كور قبضة يده وسألها ،
- لما انتِ هنا؟

الا يوجد رجال في بيتكم ؟
ام انكِ خرجتي لتتسكعي ، وتنشرين تفاهاتك هنا
هيا ارحلي يا رخيصة !

شعرت سر ان تلك الكلمات تؤلمها كأنها سوط نار يضرب جسدها
لكن هذا الاحساس توقف فور ان حلل عقلها الكلمات فأخبرها لما تغضب او تتألم من كلمات تدرك جيداً انها لا تشبهها وتلك الصفات ليست فيها ، وانها ابداً ليست رخيصة بل غالية وجداً ، انها تحترم نفسها كثيراً وانها الان تحترم ذاتها اكثر من اي وقت وتشعر بقوة وحكمة غريبة عنها كأنها بُعثت لها من السماء ، شعرت انها لم تخلق يوماً لتصمت وانها لم تعش كل تلك السنين كما هي الان ، انها تتنفس هذه اللحظة لأنها تريد ان تتنفس ليس لان ذلك واجبا عليها لتكمل حياتها، بل يجب ان تتنفس لتضع هذا وذاك عند حده ولتقول ما تريد وتفتح عقول تلك النسوة الواقفات والاخريات المختبئات خلف الابواب ، وتدعم الرجال الذين يدركون انها على حق لكنهم لا يستطيعون الحديث امام سلطة اقوى منهم ، سلطة شيوخ يصنعون اموالهم من لحم اجساد الفقراء ليبنوا قصور لا تنفع فقط علو بلا حرية ، رفعت سر عينيها وشعرت انها لأول مرة تنظر ، انها تنظر بكل عمق للناس ، لا ترى الوجوه فقط بل تقرأ مشاعرهم اتجاهها ، تقرأ تعاطفهم وغضبهم ، وخوفهم وتفاهة بعضهم ،
ثم رأت البيوت او القصور المطلية بالدهان الرمادي والذهبي ، احست ان تلك القصور بشعة جداً ، هي تنظر الان بعيون قلبها وعقلها ، ترى ببصيرتها لا بصرها ، انتقلت لترى البيوت القديمة الهادئة والدخان الذي يصعد من بعضها ليعلن عن تقديم وجبة بسيطة ،والشبابيك الصامتة والاخرى المفتوحة يخرج منها اطفال صغار ينظرون لأهاليهم .
هناك فرق في البيوت والارواح كذلك،
لم تنتبه سر في رحلة نظرها تلك الى الاصوات الغاضبة التي

بدأت ترتفع ، لكن احدهم رماها بحجر افاقت عليه

كان حجراً صغيراً مرتبكاً شعرت بخوف راميه
قررت ان تتكلم ، لا لأنها تريد ان تنجوا او لتطلب الغفران
تكلمت فقط لأنها تريد ان تتكلم وشعرت ان بين الواقفين
والمختبئين خلف الجدران والشبابيك والابواب من يريد ان
يسمع وانه بالتأكيد يريد ان يقول ما ستقول
-من حرم خروجي ؟
هل نموت جوعاً حفاظاً على عقليتكم
هل نموت جوعاً لأنكم تنظرون لنا ، ولأنهم لا يريدوكم ان تقعوا
بالخطيئة يحبسونا نحن!
لا يحبسون غريزتكم ، لا يوعون عقولكم ، لا ينبهوكم الى انكم
من تخطئون وليس هن،
اذاً لماذا لا تجلسون في البيوت اذا كنتم ضعيفي التحكم
بأنفسكم؟
من تدير اكبر دائرة في العالم وهي الاسرة
افضل واصعب شركة لأنها تخرج اجيال؟

هل تعتقدون انها عبأ ، او حرام ، تلك التي انجبت علماء
وعمال وجنود

هي من انجبتك انت وانت وتلك، هل تعتقدون انها ضعيفة ؟
تسمى ضعيفة لأنها حنونة !
الحب قوة ، من منا يستطيع ان يمنح اخر كل هذا الحب
والعطف والحنان ، من منا يستطيع ان يهب مكاناً لشخص
بجانبه حتى يهبه له بجسده
انها قوية بل اقوى من ان تتخيل هي تجمع بين الذكاء والعاطفة
بحكمة لن يدبرها كائن ، لان الخالق منحها اياها ،
اننا شيء عظيم مخلوق ليربي ويدبر ويصنع ويعمل ويفكر

انها تسهر الليل لتجد علاجاً لطفلها فيما انت نائم،
تشعر بحرارته بقلبها ، لا تحتاج طبيب لتفهم المك ، هي تدرك كل ما تمر به ،
انظروا
هذه او تلك لم تخرج للتسكع او لتريك مظهرها بل خرجت لان هناك اشخاص جائعين وهناك اخر سيعود متعب من العمل ويحتاج ماء دافئ وطعام ،
هل يصح ان نقول لهم لم نطه شيئا لان خروجنا حرام ،

ما حرام الا الحرام وجميعنا يدرك ما الحرام والحلال، هي ترتدي ما امر به الخالق، وان خالفته سيحاسبها هو ،
هل تعتقد لو كانت الانثى تريد ان تفعل شيئا محرما تخاف منك بدل من خوفها من خالقها؟

من يريد ان يفعل الخطأ رجلاً او امرأة لا ينتظر موافقة شخص هو يفعله يدرك انه فاعله، تنصحه تنبهه الى الحق هذا شيء اما ان يصل الامر لتعاقب كل الكون وتبدأ بفتاوي من تأليفك الخاص ويتبعك من لا عقل له فهذا هو الحرام بعينه،

اقترب ذاك الرجل مع بعض الرجال منها وارادوا ان يوقفوها ، اتجهت احد النسوة الموجودات وكان عمرها في الستين ، ووقفت امامها كأنها تحميها ، فصرخ الرجل بالمرأة
سألته سر بقوة
-هل تكلم امرأة بعمر والدتك بهذا الاسلوب؟
هل تصرخ بأمك هكذا؟
انه لفعل جبان بالتأكيد
ازداد الرجل غضباً من كلام سر وضحكت بعض النسوة همساً
كانت هناك فتاة في العشرين ممتلئة الجسد تنظر من وراء شباك صغير ، اسرعت بالنزول بعد ان ارتدت حجابها وعباءتها ، كأن هناك صوت يناديها او ثورة تطالبها بالحضور بأقصى

سرعة !
انضمت للمرأة وسر ووقفت معهن ووضعن يد بيد ،
ضحك الرجل وقال لم تبق الا هذه السمينة (البدينة)!
ردت سر وهي تضغط على يد الفتاة التي تسلل الحزن الى قلبها تأثراً بكلام الرجل
-يعُيبون اجساد بعض النساء من السمنة وانها غير جميلة وهم لم يسمحوا لها حتى برؤية الضوء من خدمتها لهم اين تجد الوقت لنفسها
يعيبها لأنها لاتشبه نساء التلفاز هل تعلم ماذا تفعل نساء التلفاز لتظهر هكذا امامك؟

ثم من انت لتتكلم كل هذا ماذا تعمل من تكون ؟
من انت لتصف امرأة سبقك القرآن واعطاها الجنة ؟
مجتمعات اقل ما يقال عنها انها متخلفة
تمنع وترغب تسمى مجتمعات محافظة فقط اسم لا اكثر
اخرج الرجل سكين من جيبه وقال
-سأقتلك الان ان لم تصمتي ولا بشر سيطالب بحقكِ ، والجميع سيقول انكِ اخترقتِ العادات
-تقصد عاهات وليس عادات وكما قلت انت عادات ولم تقل دين
اذاً انتم تخافون العيب اكثر من الحرام !
اقتلني ومن يعتبر هذه حياة ،
ما الفرق في الموت عندي فأنا ارى امي مريضة تموت جوعاً والماً ولا يسأل فيها شخص لكن ان خرجت الجميع ينطق ،
برأيك لماذا لا تهتمون لنا ان كنا جوعى او موتى داخل بيوتنا وتهتمون ان خرجنا وطلبنا انقاذنا،
اعطني سكينك هذا لأوفر عليك الوقت وارتكاب جريمة ، انا اقتل نفسي الان ،
اتت واحدة تركض من البيت وهي تحمل سكين كبير
وتقول ان ماتت او فعلت لها شيء سننتحر جميعاً وطفلتي معي
لما تعيش وهي ميتة منذ ولدت، واتضح فيما بعد انها زوجة الرجل ومعها ابنتها ولحقت بها اخته

اقتربت منهن امرأة اخرى واخرى ، وخرجت من البيوت فتيات ، وصل عددهن جميعاً مع بعض
ثلاث وعشرون ، صنعن خط كامل وضعن يد بيد وتمسكن بقوة ، فجأة تحول تبديل اسطوانات الغاز (قناني الغاز) الى ثورة !
ثم وفرن حماية لسر الى ان بدلت اسطوانتها الفارغة بأخرى مملوءة ، وفعلنّ هذا مع الاخريات ، كل واحدة تبدل اسطوانتها(قنينتها) وتعود لتقف مع الاخريات لتحصل اخرى على حصتها من الغاز وهكذا الى ان انهنّ عملهن ، والاخرين ينظرون واقفين رجال وبعض النسوة ايضاً ومن بقن في البيوت خلف الابواب والشبابيك .
غير مسموح بعد الان ان يتعرض اي شخص لامرأة ، وعندما تفرقن ، ارادت الاولى ان تحمل القنينة المملوءة وبالطبع كان الامر صعباً ، تقدمت منها اخرى ووضعت يدها على كتفها ودحرجت القنينة امامها وابتسمت ، وهكذا فعلن جميعهن.
هذا سر الاسطوانة ، الى اليوم تقول كل امرأة عندما تبدل اسطوانتها الفارغة ويسألها اطفالها ، كيف تُملأ القنينة بالغاز ،كيف تستطيعي ملأها؟
تبتسم وتقول انه سر اسطوانة سر .
رغم انها لا تعرف سر ولم ترها لكن قصتها وصلت من قرن لآخر ، وبقى لسر اسطوانة سر فضل على كثير من النسوة وكذلك انقذ كثير من الرجال الذين لا يستطيعون ان يتكلموا من اجل نسائهم .

نصف خريطة .. ووطن!

السبت من شهر آب (اغسطس)، يومٌ حار وشمسٌ تتوسط السماء يشع لونها الأصفر مع حرارته.

و لنهرب من هذا الحر فقد لزمنا البيوت

أنا في الغرفة مع أوراقي وكتبي، لفت نظري صورةٌ كبيرة وضعت خلف خزانة الملابس، سحبت هذه الصورة وكانت خلفيتها بيضاء لم ادرك ما فيها، مع بدء فتحها شعَ لونٌ أخضر وإزداد إشعاعاً كلما فتحتُ الصورة أكثر.

فرشتها على أرض الغرفة ورحت أنظر إليها،

إنها خارطة!

خارطة الوطن..

طولُ الصورةِ متر وعرضها نصفه، لُوّنت الخارطة باللون الأخضر وخلفيتها باللون الأبيض وتم تحديد المناطق بنقاط حمراء والأنهر باللون الأزرق.

أشيَر لكل مكان في هذه الخارطة، تعرفت على وطني بصورةٍ أفضل من خلالها، كان وطني يشع متألقاً كأنه يفتخر بأرضه ويزهوا بها.

أحسست أنه مغرور بل هو واثق، يثق بأنَ له أرضاً كالجنة.

ثلوجٌ وأمطار وكذلك حرارة كل أحوال الطقس فيه وأفضل النباتات تنمو على أرضه من غير أي تدخلات صناعية.

وكثيرٌ من المعادن كأنها تبارك أهلها وتمتعهم وتقول لهم: هل ترغبون بالمزيد؟ ويطلبون فتعطيهم.

ونهران من الشمال الى الجنوب وبحيرات واسعة فيها أنواع الكنوز وشواطئها برمالها الناعمة تتلألأ.

أنظر للخارطة والوطن يزداد فخراً ويعرفني على ما فيه وعيناي تتسع بأعجابٍ مبهورةٌ بكل هذا الجمال، صرت أنظر

للأماكن وأتخيله الجنة بعينها، هذه الأرض كريمة جداً تعطي الكثير وفيها الأكثر، وأنا أزداد تعلقاً بالصورة وتعمقاً فيها حتى أصبحت جزءاً منها، وإذا بيد تسحب الصورة، وكرد فعلٍ لا إرادي مسكتها لأحتفظ بها كما هي لكن تلك اليد الصغيرة تزداد عناداً وقوة، إلتفت لصاحبها إنه أخي الصغير.
في اللحظة التي قررت ترك الصورة لأرضي فضوله وينظر لها، فالأطفال لا يهتمون لشيء سوى عدة دقائق وبعدها يتركوه اما ممزقاً او تائهاً في مكان غير معروف وفي النهاية ينسوه.

في ذلك الوقت إتضح أن أخي سحب الصورة بقوة الطفولة لديه نتيجة لذلك تمزقت الصورة
تمزقت الخارطة!
أصبحت نصف خارطة
أشاهد ما حدث والصدمة تملأ روحي وتتضح بعيني وألم يسري بجسدي ويد تعصر قلبي،
واذا بأخي يضحك!
ضحك كالأبله وأخذ ينظر للصورة ويصفق بها وهي بيده
لكنها لم تكن صورة بالنسبة لي،
كنت في تلك اللحظة متعبة وفي أرضها إسترحت، كانت عيوني عطشى لشيء جميل ومن نهريها إرتويت.
كانت غرفتي مظلمة ومن شمسها أنارت، كان الجو حاراً ومن شلالاتها بردت، كانت الشمس قويةً وتحت ظلِ نخيلها هدأت.
لم تكن صورةً يا اخي كانت وطن، كانت انا!
لماذا مزقتني هكذا؟
رحت أبكي والدموع حارةٌ تخرج من عيني وتؤلمني، شعرت أني أنزف بدلاً من الصورة، وعلى نحبي إلتفت الصغير وأخذ ينظر لي وللصورة، لكنه لم يتركها.
إقترب مني وربت على رأسي بيده بإرتباك وإنحنى ينظر

لوجهي الذي أخفيته بيدي ليكتشف دموعي
فور رؤيته لي ركض ذاهباً الى أمي في المطبخ وأخذ يشير لها للغرفة التي أتواجد بها بيده الصغيرة التي ترتجف،
ويخاطبها بكلمات غير مفهومة لكنه يقصدها ويقولها بقوة،
جلست أمي لتصبح قريبة منه وتفهمه أكثر فمسك يدها وحاول أن يجعلها تنهض فإستجابت أمي لذلك وقادها للغرفة فوقفت أمامي وهو يشير لنصف الخارطة عنده، ثم إلي، ثم للنصف الأخر الملقى على الأرض ويحاول تنبيه أمي لكل ذلك بشد فستانها وبكلمات مرتعشة وحروف باكية نطق.
-أصلحيه يا امي
ردت وهي تقبل رأسه وتضمه لها وقربته مني وجعلته يقبلني
-أصلحوه انتم مع بعض، أنتم أخوه وتفهمون ما تريدون.
وما خربتموه بأيديكم أصلحوه بنفس الأيدي
رفعت رأسي ومسحت دموعي وأخذت هذا البريء بين ذراعي وقبلته بعد أن تركتنا أمي وعادت لعملها
ثم طلبت منه كأني أعاقبه ان يأتي لي بالشريط اللاصق الموجود في الدرج وأشرت له بالمكان وتتبعت عيناه يدي،
فذهب ونظراته يملئها الفرح وكأنه ينجز عملاً عظيماً وفتح الدرج بصعوبة بكلتا يديه الصغيرتين والتفت إلي وعيناه تتساءلان بخجل عن الشريط اللاصق فهو لا يعرفه ، هممت أن أقوم لأجلبه ولكنه غضب وأصر على أن يحمله هو وطلب فقط ان أدله عليه.
أشرت له على ما نريد من غير أن ألمسه لكي يشعر بالزهو الذي يريد ان يشعر به، أخذ يقلب الشريط بين يديه وينظر له بدهشه كأنه يتساءل كيف سيصلح هذا ما دمره ؟
أخبرته رداً على خوفه وليطمئن
-لا تقلق سنصلح ما خربناه
وجلس كلانا على الارض وفرشنا الصورة وعملنا على

إصلاحها.
الأوطان لا تباع ولا تقسم، ولا يفعل هذا إلا من يشعر بأن لديه نقص، كالّذي يتخلى عن عائلته أو يبيعها أو يبيع نساءه من أجل ثمنٍ بخس لا فرق بين الوطن والارض والعرض.

ثرثرة بليغة

قال نحن منذ ولدنا تبدأ حياتنا نضحك ونبكي وهكذا
ثم ضحك بصوت عال وقال
المشكلة اننا لا نتقاضى راتباً يا عزيزي
واجباً ان يكون هناك راتب كافيا لأعيش في هذه الحياة
انا لا اقصد الراتب الوظيفي مطلقاً بل اقصد راتباً لأننا نعيشها ونمشي على ارضها ونملئ شوارعها وهي تزعجنا وتملي علينا ما تريد
اما نحن مسيرين بأمرها لا اكثر
اليس على الآلات كما نحن ان تجني ارباح مقابل عملها الدائم المتعب

كان مستند على سور الجسر الخشبي وينظر الى الفراغ بين السماء والبحر
انا وصلت توي و قال هو هذا الكلام
كنت يومها غاضباً جداً لا ارتدي في هذا الطقس البارد ما يحميني منه ، لأني اسرعت هارباً من البيت ، لم انتبه للجو ، ورغم هذا هربت للبحر ، الجو كان باردا لكن شعرت بالدفء عندما وصلت البحر ، كأني وصلت وجهتي وجنتي ، وجدته امامي ونطق هذا الكلام من غير ان ينظر لي ، فقط شعر بوقع اقدامي وبدأ حديثه ، سألته هل تكلمني ؟
كان يرتدي ملابس كثيرة بألوان غامقة اظنه يختبأ من نفسه فيها ، التفت لي وعينيه محمرة النهايات ولحيته غزاها الشيب ، لم ينظر لي مطولاً ثانية وعاد لنظرته السابقة وقال
كنا اربعة رجال ، لا تستهن بي الان كنت في شبابي اجمل رجال المدينة ، ليست هذه المدينة بل مدينة خلف هذا البحر ، واشار

بيده ولمحت دمعة تحاول الهروب من عينيه ، لكنه اقوى من ان تهزمه اوقفها وواصل حديثه

-كنت اكبرهم والاخر اصغر مني بشهر والاخير بسنتين والثالث بسنة ،

لم نترك منطقة الا وزرناها وقضينا ايام لا تنسى فيها وحملنا منها ما يذكرنا بها ومع هذا كنا ننسى كل مكان ما ان نغادره ، لا نبالي الا بالقادم ،

كان غصن اصغرنا يضحك على من يهتم للكتب او يقرأ ، فالوقت لديه اغلى من صرفه بتلك التفاهات كما يقول ، اما صدى وهو محدثك كنت مولع بإشعال النيران والرقص حولها وعنبر كان لا يحب شيئا ولا يميل لشيء بارد لا مبالي، على عكس سفر الذي كان حساساً مهتم بكل شيء ، بنا وبمسكننا وبالطعام وبالورود والموسيقى اما ما نشترك به جميعاً هو حبنا وولائنا لبعضنا وعشقنا للترحال والتنقل فلم نبق بأي مدينة اكثر من سنة ، تعاهدنا ان لا نفترق حتى الزواج لن يفرق بيننا ، وفعلاً لم يفرقنا شيء الا..

توقف عن الكلام وهرش رأسه بارتباك وخوف وقال

-هل ترى ان البحر جميل ؟

الجميع يقول ذلك انا كنت اؤمن بذلك ايضاً ، لكن هو كالمرأة الجميلة التي تجذبك من غير ان تعرف محتواها فقط مظهر جميل ، طبعاً الرجل الغبي يفعل ذلك والحقيقة جميع الرجال اغبياء في هذا الامر ،

انت بعد ان ترى مظهرها الرائع تقترب تحدثها وتكتشف تفاهة محتواها تكتشف لحظتها انك وبعمرك هذا لا تختلف عن طفل كل شيء يراه يضعه بفمه ، فما الفرق انت بخبرتك وتجاربك ما زال يخدعك احمر شفاه او عين جميلة !

هكذا خُدعنا شتاء العام الماضي كما هذا اليوم ، قررنا ان نجرب البحر الجميل في البرد وتحد احدنا الاخر ، نزل سفر وغطس

رأسه وبقى ثلاثين ثانية استهزأ به غصن وقال سأبقى اكثر ما كان رد فعل سفر الا تجربة البقاء اكثر وتأخر دقيقة ، نزل له غصن ليتفقده لكن وجده فاقداً للوعي ، حاول سحبه لكن جسد سفر كان اقوى فسحب غصن للأسفل ، طلب منا غصن ان نسرع له ، هرول باتجاههم عنبر ، لكني من غير ان انتبه لنفسي رجعت للوراء وانسحبت من شاطئ البحر ، صرت انظر من بعيد ، سفر سحب غصن مما ادى الى اختناق غصن والجسدين اصبحا ثقيلين لا يتحركان مما جعل مهمة انقاذهم من قبل عنبر صعبة جداً وهكذا الاخير غرق معهم ، فيما انا كنت واقفاً بشكل غبي ، كالذي وصلته نتيجة الحياة بالرسوب،

التفت لي ونظر بعيني مطولاً وقال

اتعلم ، تافهة هذه الحياة ، تافهة حد السخرية ،

انها مرة لم اعد اتحملها ،

عاد ينظر للبحر وصرخ انظر انهم هناك ينظرون لي ،

سألته بخوف من؟

قال :

من يستحقون الحياة لكنهم غادروها !

هل تعتقد انهم سيسامحونني ،كل مرة اراهم بعد غرقهم لا يلوحون لي

اليوم فعلوا ذلك ، بالتأكيد هم سامحوني .

ابتسم بحزن واكمل قائلاً

-الجميع يكذب ويخاف .. حتى امي قالت لن تتركني لكنها غادرت وتركتني وحيداً، بعدها اخذ يمشي من غير ان يلتفت لي ومضى..

دقائق وسمعت شرطي البحر يصفر والناس يركضون نحو البحر ، قائلين ان رجل رمى نفسه فيه .

اظنه طما

-انتِ استيقظي هيا..
صوت حاد قوي يكرر جملته
النعاس يغلبني كنت متعبة يومها ، افتح عينيّ ببطء رجل في ثلاثينيات العمر
شعره اسود ، عينيه تنظر لي بلونهما الاسود الغامق ويكبر البؤبؤ
بغضب قال
- اخيراً استيقظتِ ، انتظرك منذ ساعة ، انا لا احب ان انتظر ..
قاطعته
-من انت؟
ماذا تريد ، كيف دخلت غرفتي؟
يضحك قائلاً
- لا تخافي لن يراني شخص ، انا روح .
جعلتني اخر كلمة ارتبك واصمت ، ثم ابتسم بسخرية لأطمئن نفسي اقول له
- جميعنا ارواح
-اعلم لكن انا ميت
قاطعته بسرعة قبل ان تكمل شفتيه كلمة اراد قولها
-انتظر ..
في الحقيقة انا اخاف من البشر الطبيعيين ، اخاف من نفسي ايضاً
لذلك تكلم بصدق رجاءً
-صدقاً انا ميت ، لا تخافي ، انا لم امت في هذا العمر، لكن عندما توفيت وجدتني عدت لهذا الشكل والعمر ، لا اعرف

السبب، المهم اني اريد ان اخبرك قصتي
انتِ كاتبة أليس كذلك ؟
اشعر اني في اللاوعي او في حلم ما
احرك عينيّ ، اغلقهما وافتحهما ، التفت عنه واعود عسى ان لا اراه
لكن لا شيء يجدي.
اجيب ببلادة
- نعم ربما انا كاتبة.
-ماذا تقصدين بـ ربما؟
كاتبة انتِ صح ، تجيدين الكتابة؟
اقول بخوف
- نعم اجيدها
اكمل كلامي بغباء واضح واتصنع القوة
نعم تعلمت في المدرسة انا بالتأكيد اعرف ان اكتب.
-حسناً سأحدثكِ واكتبي
-ماذا اكتب
-ما سأقول
- ولما لا تكتب انت
-لأني روح ،
فهمتي روح ، لا تسلِ كثيراً كما اخبرتكِ لا احب الانتظار وكذلك لا احب الاسئلة .
- حسناً تكلم
انا الان في الرابعة والستين
لا اقصد هذا مظهري بل اقصد قبل ان اموت..
منذ اسبوع تقريباً او ستة ايام اذا تكلمت بشكل دقيق
ثم قال بغضب وكأنه يأمر
- هل تكتبين
اجبته بطاعة

-نعم .. بالتأكيد ها انا اكتب ، انظر
ورفعت له الورقة لينظر
لم يبالي للأمر كثيراً واكمل حديثة
قبل ايام اتت ابنتي لبيتنا بعد ان طردها زوجها او حصلت مشكلة بينهم وهي تركته كما قالت
جلست بقربي بعد يوم من وجودها في المنزل وضعت رأسها على كتفي
بلل دمعها ما كنت ارتدي ووصل الى جسدي ، بقيت صامدا احاول ان اخبرها بقوتي انني غير منزعج ، لكن الدمع لا يخترق القماش الذي ارتدي بل يخترقني ، يفتت عظامي المتعبة،
ثواني وبدأت بالحديث بعد ان بكت كثيراً لكنها لم تغير وضعها ما زال رأسها مستقراً على كتفي
- ابي لما هو سيء ؟
انت اب جيد ورجل جيد ، لما هو هكذا؟
تماسكت جيداً وتصنعت القوة وقلت
- يا فتاة لا تكوني غبية عليك ان تتحملي وتصبري ليس الجميع مثل اباكِ انا النوع الفريد ، انا مميز
قلت اخر جملة بسخرية فضحكت هي ودموعها اكملت حديثي
- لا تصدقي ما اقول انا ايضاً كنت رجلا سيء، اتعبت امكِ كثيراً لكنها تحملت وصبرت عليّ،
خنتها بعيني ، ولساني لاطف الكثيرات ، لكن صورتها واحترامها لي بقى يمنعني على ان اكون لغيرها او اخونها ، انتم كذلك جعلتموني افضل .
انا يا فتاة تعلمت من امكِ ما لم تعلمني اياه الحياة ، ما لم يعلمني العمل ، ما لم تعلمني الكتب .
نعم الحب ليس كل شيء لكنه ان وجد يصنع كل شيء

امكِ تصنع الطعام بحب ، وتقول كلماتها بحب لذلك مهما كان الطعام قليلاً او بارداً او مكررا لا يضجرنا لأنها تضيف الحب له كلماتها ولو كانت غير بليغة وبسيطة فهي ذات معنى ، عندما تنصح فأنها تجمع كل فكرها وتدرس الاحداث ليل نهار ، ثم تأتي وتقول لي

- عليّ ان اخبرك بخصوص هذا الامر ..

وتبدأ بطرح الموضوع بتفاصيله الاولية وتحلله وتقول المشكلة ومن ثم الحل

وهكذا حين المشكلة تبتعد وتجعلني اهدأ ومن ثم تأتي وتفسر لي الموضوع كأني تلميذ او طفل وانا اتقبل هذا لأني ارى بعينيها الاحترام والحب

قاطع حديثي صوت طرق الباب

احدهم يطرقه بقوة

نهضت لأفتح الباب واذا بزوج ابنتي واخوه وابن عمه

هربت ابنتي الى احد الغرف

تقدم ابني وتكلم مع زوج ابنتي تكلموا كثيراً عبارات بلا معنى وخاطئة لا فائدة منها فقط تجعل القلوب تكره بعضها لا اكثر

لم ار او اسمع شيئا بعد ذلك اخترق رقبتي طلق ناري من احدهم

ثم قال

- هل كتبتِ؟

نظرت له وعيني مليئة بالدموع تتساءل ماذا حدث

ابعد وجهه عن عيوني وقال وهو لا ينظر باتجاهي

- لا تبكي ، لم آت لأجعلكِ تبكين ، دموعك تذكرني بأبنتي

المشكلة كانت بين ابنتي وزوجها لماذا جعل اهله يتدخلون ، فتاتي لما لم تصبر وتتحمل زوجها وتسمع له ؟

وان فعلت لما يصنع كل هذا الغضب ، لما لا ينفصل بهدوء؟

لم نكن هكذا ، كنت اتحمل زوجتي واصبر وهي تفعل ذلك ، كنا نعيش بضيق ولم نتذمر ،
ربما هذه ليست قصة وانا لا اريد ان اقول تفاصيل كثيرة لكن على من يخطو باتجاه الزواج ان يتعلم التنازل وان الحياة ليست جنة لكنه يستطيع ان يجعلها كذلك ،
لم يكن الامر يستحق ان يُقتل شخص ، كان زوج ابنتي وهي مهتمين ببعض
الخلاف كان بسيط
توقف وهو ينظر باتجاه نافذة غرفتي وقال
-اخي ينادي سأذهب الان واكمل القصة غداً
ذهب ولم يأت غداً او بعده ولما تعبت انتظاره كتبت لكم ما قال فقط
اعتقد ان المشاكل لا يجب ان تصل للقتل ، تكفينا الحروب لماذا نصنع حروبا اخرى بيننا؟

بطل

صوت نحيب وصراخ ، يخترق قلب الضابط بطل قبل اذنيه كان اسمه يشير اليه يشبهه بطلاً قوياً شجاعاً ملامح الرجولة والقوة تظهر من عينيه ، عريض المنكبين ، خفيف الشعر ، كان لون الحزن يتجسد من خلال عينيه لكنه يحاول ان يصمد اكثر

هناك دائرة من الاشخاص وطفل مسكته مجموعة معادية لنظام البلد ، عصابة مكونة من اقبح الاشخاص اخلاقاً وخلقاً ، ملابسهم واجسادهم قذرة ، يحملون كل انواع الاسلحة

بينما بطل ينظر لطفله الصغير ذا الخمس اعوام بين يدي هؤلاء المجرمين ويتجه بنظره للعامة المتفرجين لا يحركون ساكناً وهو الذي سهر وغاب عن بيته وعائلته وعرض نفسه للمخاطر من اجل سلامهم وامنهم ، لا احد يذكر ما عانى من اجلهم ، هم ليسوا كثيرين لو تجمعوا حولهم لتخلصوا منهم ، لكن الخوف قد غلب قلوبهم ، بينما هو يفكر ويدير بصره واذا بالرجل الذي يمسك طفله يصرخ به

-هل تتكلم او نقتل الطفل ؟

-ماذا تريدون منه ، انا امامكم اتركوا طفلي

-نحن نعلم انك قوي لا تهتم لنفسك

اما طفلك فأنك تخاف عليه، وهو سلاحنا ضدك لنعرف كل مخططات قيادة هذه المدينة واين مخزن الاسلحة ؟

-لن اقول شيئاً ولو اخذتم حياتي

- لا تهمنا حياتك ، انظر لطفلك الصغير ،

وحمله من نهاية قميصه الاحمر ومرر سكين كبيرة تلمع تشير الى حدتها حول رقبة الطفل ، وبدأ صراخ الطفل يعلوا اكثر ويبكي بخوف وترجف اطرافه ،

صورة منظر ولده اخترقت قلبه وشعر بأن امعائه تتقلص كأنه يريد قذفها مع معدته وكل ما يحتوي جوفه .
قال القاتل الذي كان يرتدي ملابس فضفاضة قذرة وله شعر اشعث طويل ولحية تغطي كل وجهه وغطاء رأس لا ندرك حجم الاوساخ والطفيليات التي تحته
-هذا اخر تهديد ، لن اهدد بعد الان سأنفذ .
لم يجب الضابط ما زال هادئاً ، يحاول التمسك بآخر ما تبقى من اعصابه، املاً ان تأتي قوة من الدولة تنقذه
لكن كل ما يريده ويأمله صعب الحدوث وان حدث يتطلب وقتاً طويلاً،
الطفل ينظر لوالده وقد غسلت الدموع وجهه ويشير بيديه له ليأخذه ، هو لا يدرك ما يحدث مطلقاً ، فقط يشعر بالخوف من كل ما حوله ويعلم ان ذاك الواقف بعيداً مكبل اليدين هو الامان الوحيد
انزل المتوحش الطفل ووضع احدى يديه على خشبه كبيرة يستخدموها دائماً لقطع الرؤوس ، وقال بصوت عال غاضب
-اخبرنا سيكون طفلك بأمان واذا لم تنطق سأقطع يده
هو يعلم لو اخبرهم لن يكون هو او طفله بأمان ، هؤلاء متوحشين يشربون دماء البشر،
فلم يجب
قرب السكين من يد الطفل يحاول الطفل جاهداً سحب يده ، يرفس بقدميه ويضرب بيده الاخرى اقترب متوحش اخر امسك الطفل بأحكام ، ووضع الاخر يد الطفل وقرب السكين فصرخ الاب
لكن لم يهتم لصراخه وقطع الاصبعين الاخيرين للطفل (البنصر والخنصر)
حين رأى الطفل الدم غزاه الالم سقط مغمى عليه
لم يتملك الاب نفسه فاخذ يضرب قدميه بـ الارض ومن ثم

سقط ارضاً يبكي بحرقة ووضع راسه على الارض كأنه يسجد لخالقه ويعاتبه ويتوسل الموت لروحه ،
هو الان بين اعز ما تحتوي هذه الارض واغلى ما عليها طفله وبين الارض نفسها التي ربته طوال السنين
بمن يفرط وعن اي منهم يستغني؟
لم يستطع ان يفكر بعد ما حدث هو يرى جميله الصغير يحتضن التراب وجهه ،ويملأ الدم جسده ، مغمى عليه لا يشعر بشيء رحمه الله من الالم وبئس المنظر
بينما هو يبكي عينيه لا تصلح للرؤيا من دموعها
سمع اصوات تتساءل بهدوء وريب وخوف ، احدهم قال
-ماذا يريد ان يفعل هذا المجرم ؟
رفع رأسه لينظر واذا بالمتوحش يمسك قدم طفله ويقطع الاصبع الكبير بسرعة وبوحشية مقززة
هناك اطفال هربوا عندما شاهدوا ما حدث ونساء افرغن ما في جوفهن وغلبتهن الدموع، اراد النسوة الهرب من المنظر ومن هول ما يحدث
فصرخوا بهم الوحشيين وامروهم بالبقاء، فلم تأبه احد النسوة اخذت طفلها وغادرت واذا برصاصتين احدهما تخترق عنق طفلها واخرى تخترق رأسها ، فـ اصاب الحضور خوف وارتباك وهناك من غشّى عليه اغلبهم من النساء ،
تقدمت شابه يتضح الارتباك من خطواتها لكن يبدو انها تحدت نفسها ومن حولها و صرخت بالذي يمسك الطفل وقالت
-انت لستَ سوى حيوان جائع للدماء وربما الحيوان اشرف منك واعز نفساً ، حتى لو قضيت علينا جميعاً لن تستطيع يوماً القضاء على الوحش الذي يسكنك وستبقى هكذا قذراً تسكن الكهوف لا ترى النور تخافه ان يهاجم عينيك ويكشف اوساخ روحك هذا ان كان لديك روح،
اما نحن حتى لو كنا خائفين سيكون هناك شجعان وننتصر

دائماً سيبقى في هذه الارض انسان يمتلك ضمير ليقتلك ويقضي على امثالك ، في يوم ما ستنتهون ونبقى نحن فقط البشر من نمتلك انسانية في..

ولم تكمل ما قالت حتى اخترقت قلبها رصاصة ، جعلتها تسقط ارضاً باقل من الثانية ،

لم يخرج احداً بعدها ولم ينتفض شخصاً ، فقط عيون تتحرك بـ اتجاهات مختلفة تنظر لما يحدث وعيون اخرى اغلقت لكي لا ترى شيئاً ، امهات وضعت ايديها على عيون اطفالها وشباب اغلقوا سمعهم وعيونهم .

دقائق مرت والوضع هادئ قال الذي بقرب الطفل موجهاً كلامه للضابط هل تنطق او سيموت عدد اكبر، وطفلك اولهم ووضع السكين على رقبته،

صرخ بطل توقف سأخبركم حالاً ،لكن اتركوا كل من هنا

تم الاتفاق على ترك النساء والرجال يغادرون ويحررون وتم تقييد بطل واخذوه معهم

صعدوا عجلاتهم وضابطنا الشاب الذي بلغ الثالث والثلاثين قبل شهر ،يجلس بالمقعد الخلفي ومحاط بمتوحشين من جانبيه يخنقون انفاسه ،

ينظر لما حوله بغضب وهو قد فكر من قبل بكل ما سيفعله ضربه احدهم بنهاية مسدس يحمله على رأسه كان يجلس على الكرسي الامامي، فنزلت الدماء مسرعة تحتضن عينيه، قال له -اخبرنا الى اين نتوجه الان

فأشار للدخول بالفرع الذي امامهم ، وبعد ان وصلوا بناية كبيرة امرهم بالتوقف ،

حتى في هذا الموقف كان امراً شجاعاً لا يهاب الموت، لا يخاف اسمه ، ولا حدوثه ، بل ينتظره بفرح ويستقبله ، اذا اراد المجيء ، هذا ما جعل اعداءه يخافون بدلاً منه ، هو كان واحداً وهم مجموعة كبيرة ، لذلك احاطوه من كل اتجاه عندما نزل ،

وكان هذا بالضبط ما يريد ،
ارادهم جميعاً يدخلون المبنى معه ، فذهب امامهم لغرفته ، كان مكتباً انيقاً وضع اسمه بالمقدمة
دخل وهم معه ، ففتح احد ادراج المكتب واخرج مفاتيح ، ومن ثم اغلق المكتب ، يتصرف كأنه وحيداً ولا تحيط رقبته وجسده كل تلك البنادق ..
ثم ذهب لممر وفي نهاية هذا الممر يوجد درج ، نزل منه بكل قوة وشموخ ورشاقة،
هذا السلم يؤدي الى ممر ضيق لا يستطيع سوى شخص واحد السير به ، لذلك كان هو في المقدمة كالعادة قائداً ، تتبعه الجراثيم ، التي تريد غزو مدينته كما تصيب الجراثيم الجسد وفي النهاية لا جسد يستسلم هكذا حتى لو كان ضعيفاً ستبدأ الدفاعات بالاستجابة ومحاربة الدخلاء الجدد وشيئاً فشيئاً المناعة يكتمل سلاحها وتطرد العدو،
حتى لو ترك المرض اثراً سيعالج لكن المهم ان لا يبقى حتى لا ينتشر ويصبح وباء وهنا يصعب القضاء عليه ..
وصل الى باب صغير حديدي ،كان مقفلاً وبواسطة احد المفاتيح التي بيده فتح الباب ودخل ، كانت الغرفة مظلمة ، مد يده للحائط بجانب الباب ضغط على مفتاح تشغيل الاضاءة انار الغرفة..
كانت الغرفة مملوءة بالأسلحة من كل الانواع
فغر الجميع فاه مستغرباً الكمية الموجودة في هذا المكان الصغير ، لم يهتم بطل ومضى للداخل هناك غرفة اخرى فتحها ودخلها ، بينما هم ينظرون حولهم بدأت مهمته ليستغل شرودهم ويديه محررتين ، انطلق مسرعاً داخل الغرفة الثانية كان هناك عتاد وذخيرة وصندوق نحاسي صغير ، يعرفه تماماً ابتسم ما ان رآه ،جلس بقربه
فتحه وهو ينظر خلفه يشاهد انشغال الجميع ،

كان مملوء بارود رفع الصندوق قليلاً من غير ان يخرج اي صوت ، اخرج مسدس كان مخبأ خلف الصندوق بسرية لا يعرف مكانه الا هو ، اغمض عينيه يفكر بطفله ، وتذكر بيته سابقاً وعائلته وسعادتهم،
مر شريط ذكرياته سريعاً ثم رأى بيتاً واطفال فرحين ، نساء ورجال يرقصون بسعادة، يجب ان يختار اي منظر يبقى ، هؤلاء الجراثيم او الجنة التي تمثلت امامه الان؟
بلا تردد ضغط زناد المسدس خرجت رصاصة متجهه للصندوق ، التفت الجميع للصوت ، صرخوا ارادوا الهروب لكن بدأ المكان بالتفجر تدريجياً ، كان ينظر لهم وهو تلتهمه النار ويضحك لخوفهم ، قضى عليهم جميعاً
حدث انفجاراً هائلاً ..
حلقت روحه فرحة ، رأى طفله قال له حياتك ثمنها ليس غالي ،
ونظر لأرضه ووطنه وقال ما تعني روحي ان لم ارك سالماً تزينك الورود وعطرها .

تراب

-انه يتلعثم كثيراً، ويتعثر اكثر
انظري كيف يمسح انفه ، يا للقرف
الام تنظر من النافذة وتوجه كلامها لأبنتها
-من تقصدين
-المجنون
تقترب تنظر من النافذة
-بربكِ يا امي هذا مجنون !
انظري كيف ابعد قطعة الزجاج من طريق ذلك الطفل
-اه ، حقاً لكن اظن ان الجميع يدرك الخطر
-لاحظي عيون الطفل كيف احبته ، الاطفال لا يكذبون هم الاصدق بمشاعرهم ، الا تعتقدين انه لو كان مجنوناً لخافه الطفل.
-الاطفال لا يدركون هذه الامور ، ذلك الطفل ما زال صغير جداً ، لا يتعدى عمره خمس سنوات.
-انا عندما كنت طفلة ، وعمري اقل من هذا الطفل ، الم اتعرف عليكِ واحبك !
تتأمل وجهي بين المصدق لما قلت وبين المؤيد لكلام عقلها وما ترى ،
وصل لنا ، سيطرق الباب ،
كالعادة طرقتين فقط ستسمعين
تضحك تتجه نحو الباب ، الطرقة الاولى تنتظر تلحقها طرقة ثانية
تفتح الباب
يسأل بحروف مشتتة
- مـ مـ ا ذا اعطـ يـ كم الـ يوم
-حسناً ماذا تبقى لديك

ننظر انا وامي للعربة التي يقودها فيها انواع من الخضروات ،نشير لما نريد يزن ويعبأ وينزلهن بقرب البيت !
تسأله امي
-كم المبلغ؟
يجيب بصوت هادئ
-خمس وعشرون
اقول له
-سأعطيك الضعف
تنظر لي امي بغضب ، اقترب منها اهمس بأذنها
اخذ ورقة من المال اعطيها له،
ينظر لها تتحرك عينيه بحدة ثم يهدأ ويضمها بجيبه،
المبلغ الذي اعطيته لا يعادل ربع المبلغ الحقيقي ، اتفقنا انا وامي ان نختبر ذكائه واذا كان مجنوناً او لا!
يهم بالمغادرة تناديه امي انتظر نسيت هذا ، وتكمل ما تبقى من المبلغ وتضعه بين يديه ، ارى بعينيه دمعة او حزناً او امتناناً لا اعلم ما هو لكنهما برقا بحب ،يغادر تغلق الباب
تقول امي
-هل نظرتي لثيابه كيف كانت قذرة فقط المجانين هكذا
-نعم نظرت لهذا لكني لاحظت كذلك نظافة يدية واظافره و الملابس التي تحت الثياب الخارجية ، ظهرت بالقرب من رقبته كانت نظيفة جداً
-لم انتبه
-لكن انا انتبهت
في الليل
ظلام يجعل المنطقة ترتدي الحداد ، لا قمر في السماء ، هناك نجوم لكن النجوم لا تقوم بما يفعل القمر ، محال ان تحتل مكانه ، انا وحدي مستيقظة الساعة تقارب الثانية ليلاً
اسمع حركة قرب الباب ، انظر من النافذة احدهم يمشي بسرعة

، لا اراه فقط خيالاً كـ شخص رُسم على ورقة سوداء !
افتح الباب بهدوء ، الحق به ، يختفي عند بيت الطبيب جارنا في حديقة منزله ،
ضوء يظهر لمدة دقيقة من غرفة في الطابق الاعلى للمنزل ثم ينطفأ.
يخرج من المنزل ،
هل هذا الطبيب ، لا اعتقد انه بهذا الطول ، الطبيب رجل قصير القامة ممتلئ ، هذا رجل طويل ، يسعل اختبأ خلف شجرة كبيرة عند زاوية المنزل ،اطمئن لرحيله
اذهب وارى ماذا حصل للطبيب ،
احدث نفسي قائلة
-وماذا سيحصل ، انه بالتأكيد شخص مريض ، حاجة المريض تبرر تواجده في اي وقت وطلبه للعون .
انظر للمنزل بلا ضوء ولا صوت ،
كيف يعود الطبيب للنوم بتلك السرعة ولماذا انطفأ الضوء ما ان خرج ذلك الرجل الاصح قبل ان يخرج كأنه هو الذي اشعله واطفأه؟
اعود لبيتي ، افكر من قد يكون ؟!
صباحاً الساعة السابعة اصوات عالية ، صوت مميز لامرأة تصرخ .
انهض بسرعة يسقط الغطاء على الارض ،
لا انظر حتى لمن في المنزل افتح الباب اتجه نحو مصدر الصوت
انه من بيت الطبيب !
-قُتل الطبيب ؟
يجيبني رجلا بجانبي ، لا ، انه حارس يعمل عند الطبيب
-لا اعلم بهذا الامر، منذ متى وظف الطبيب حارساً لمنزله
-هو يستخدمه فقط عندما يغادر المنزل وامس لم يكن هنا

وظف شخص فقير الحال والعقل ، يبدو ان السارق كان يعلم ان الطبيب لم يكن ليلة امس في منزله ، لكنه تفاجئ بذلك الشاب الحارس وعندما رآه واكتشف امره قتله.
ابتعدت قليلاً لأرى وانا افكر شاب وفقير عقل ،
المجنون بالتأكيد هو المجنون !
حاولت الدخول للمنزل لأرى الجثة ، لكن الشرطة وصلت ومنعت اي شخص من الدخول،
وضعوا سوراً من الجنود حول المكان ، لا اعلم ان كان الامر يستدعي كل هذا !
استغرقوا عدة ساعات حتى اخرجوا الجثة يحملها رجلين لكنها مغطاة ، لم استطع رؤيتها ، اقتربت من سيارة الاسعاف وقبل ان يضعوا ما يحملون داخلها ، سألتهم ان اراه،
نظر احدهم للآخر وضحكوا
-هل انتِ مجنونة
يسخر مني ويحدث صديقه
-هل سمعت هي تريد ان ترى جثة ، فتاة شابة لا تخاف ان ترى جثة ودماء !
ابتعدي من هنا والا اخبرت عنكِ الضابط.
نظرت لهم بغضب ، ازعجتني سخريتهم مني ، انهم لا يبالون بأمري وانا شاهدة .
نعم تذكرت انا شاهدة ، رأيت ما حدث البارحة ، بهذه الطريقة استطيع الدخول للمنزل وايضاً اتحقق من المقتول!
اتجهت بسرعة للمنزل ، اوقفني شرطي ، اخبرته اني شاهدت ما حصل ليلة امس،
رمقني بنظرة تدل على عدم التصديق، لكنه طلب مني ان انتظر وغادر ، ثم بعد ثلاث دقائق عاد وساقني الى الداخل،
اخبر الرجل الذي وقفنا امامه انها الشاهدة
-حسناً اتركها واذهب لإكمال عملك

وضع لفافة من التبغ (سِيْجارة)بفمه وادخل يده في جيبه واخرج قداحة قربها من السيجارة وضغطها فلم تعطِ نار كرر الفعل اربع مرات ولم ينفع ، كانت عينيه غاضبتان وافعاله تدل على التوتر وما كان ينقصه الا عدم اشتعال تلك السيجارة رماها من فمه وصرخ بها لعينة .

رجعت للوراء خطوتين ، ندمت لأني اخبرتهم انا شاهدة، حتى بدأ يسأل ويسأل خفت اكثر ، وادركت اني لستُ شاهدة انا لم ار شيء يساعدهم !

-متى خرجتِ من منزلك

-تقريباً الساعة الواحدة ليلاً

لا لا انها الثانية .

-تأكدي من اجابتك قبل ان تجيبي

ماذا رأيتِ بالضبط ؟

-لم ار شيء كان الظلام مسيطر على المكان!

صرخ بي قائلاً

-هل تمزحين معي ، نحن نحقق في قضية قتل لا نلعب !

بدأت ابكي ، اقترب رجل اخر له نفس رتبته ، همس في اذنه فهدأ الاخر قليلاً، ثم طلب مني الجلوس .

في هذا الوقت سمعت صوت امي خارجاً ، تقول لهم ابنتي بالداخل، اريد ان اراها!

التفت الى الضابط قائلة بتلعثم انها امي

تلعثمت في الكلام اذاً العاقل يحدث ان يصاب بهذه الحالة ! المجنون ، هل هو المقتول.

دخلت امي ضمتني لصدرها، وظلت تقول ابنتي بريئة ، هي تخاف من ظلها ، لماذا تعتقلوها؟

-اهدأي نحن لا نتهمها هي فقط شاهدة.

رفعت وجهي لها ونظرت بعيني سائلة بدهشة

شاهدة انتِ !
على ماذا؟
-هي ستكمل لنا واستمعي لها معنا
-حسناً رأيت رجل طويل يمشي لمنزل الطبيب ، تبعته بعدها دخل للمنزل وبقيت انا خارجاً عند الحديقة، ثم اضاء نوراً داخل المنزل في الطابق الاعلى
بعد دقائق انطفأ الضوء واختفى لم ينير المكان بعدها.
اختبأت خلف شجرة ، هي تقع هناك في زاوية المنزل واشرت بيدي للمكان الذي انا اعتقد لكنهم لا يرون ما برأسي ، نظروا الى اين اشير ، لكن ما تشير له يدي هو كرسي بقربي ،
اخبرتهم انني اقصد الشجرة التي في الحديقة خارج المنزل !
هزوا رؤوسهم موافقين على ما اقول يطلبون ان اكمل، لم يحدث شيء بعد ذلك هو غادر وانا عدت للمنزل.
-هل رآكِ؟
- لا لا اعتقد ذلك
-قلتِ انه طويل ، هل تذكرين اي صفة اخرى او شيء مميز .
-لا فقط رأيت انه كان طويل ، اظن ان له شعر كثيف لأن رأسه كان كبيراً ، لذلك ربما الكبر كان لكثافة وطول الشعر.
-وقد يكون اصلع
-لا كنت سألاحظ ذلك ، سيكون لونها يختلف عن سواد المكان والملابس ، كان لديه شعرا وغيره يكون لون الرأس واضح وهذا ما لم اره .
-اكتبي عنوانك واسمك هنا ، في اي وقت سنطلبك .
كتبت امي لأنها رأت يدي حينما اخذت القلم، مسكت يدي كأنها تقويني وتبعث لي بطاقتها، جلست على ركبتيها وقربت الورقة التي كانت على طاولة خشبية كبيرة بواجهة زجاجية ارتفاعها لا يتعدى عشرون سنتيمتر (٢٠سم) وبدأت تدون المعلومات،

ثم استأذنت واخذتني ويدها تطوقني
وصلنا للمنزل ادخلتني غرفتي و اعطتني كاساً من الماء
شربت، اخذته وضعته على خزانة صغيرة بجانب السرير،
قالت
-متى حدث كل هذا؟
ولماذا لم نشعر بكِ حينما خرجتِ؟
نامي الان مددي ، ارجعت الغطاء على جسدي واطفأت ضوء
الغرفة وخرجت .

اليوم الثاني التاسعة صباحاً يطرق الباب ، تفتح امي الباب
،انظر انا من بعيد وخلسة ، انه شرطي !
-نريد الشاهدة ، الضابط امر بإحضارها.
تلتفت لي امي ، كأنها تعاتبني بعينيها
اذهب لغرفتي لأجهز نفسي.
اقف عند غرفة مسؤول التحقيق عن القضية ، يدخل الشرطي
ثم بعد دقيقة يخرج ويطلب مني الدخول .
مكان مظلم ، صوت من الداخل يأمرني بالتحرك
اقول بخوف
-لكن لا ارى شيئاً
يجيب صوت من عمق الغرفة
-المكان ليس كما عتمة الليل ومع هذا رأيتِ والان لا ترين!
الان انظري باتجاه يدك اليمنى
اتبع ما يقول
اشاهد عدة رجال ، تقريباً سبعة ، الواضح ان وجوههم الى
الحائط ، ظهرهم باتجاهي ،
يكمل الذي يتكلم معي منذ دخلت واظنه المحقق الضابط
المسؤول عن القضية ، الغاضب الذي التقيته امس

-الان دققي النظر وقولي من يشبه المواصفات التي رأيتها!
تتسع عينيّ لعلِ ارى اوضح انظر في المكان والسقف ، لا اعلم لماذا لكن احببت ان اطلع على كل ما حولي ، انظر لهم ، اثنان فقط طويلان !
احدهم في بداية السطر والاخر قبل الاخيرين
اما الباقين لا يشبهون من رأيته ، ينحصر نظري بينهم ، الاخر رأسه طبيعي لا يشبه المتهم ليلة الحادث كان رأسه كبير
اذاً هو الذي في بداية السطر ، لستُ متأكدة لكنه الاقرب لما رأيت.
-اعتقد انه الاول ، هذا ،اشير بيدي له.
-لا تعتقدين نريد ان تتأكدي !
-اظنه ..
ويقاطع الحديث صوت سعال
صرخت
- احدهم يسعل ، هو بالتأكيد القاتل !
تُفتح الاضواء بسرعة يتجه ضابط التحقيق نحو المشتبه بهم ، يسألهم من سعل الان ؟
اخبره انها كانت من هذا الاتجاه، اي من احدهم في بداية السطر من جهته حيث يقف.
وانا اشك بهذا ، وضعت يدي على من اخترته من بينهم

يلتفت لي ، لا انتبه له ، فملابسه يابسة ، شعرت بها يدي صرت انظر لها بقرف وانا امسح يدي بمنديلي ، ثم رفعت رأسي للأعلى !
يا خالقي انه المجنون!
ما زال حي ، يرتبك قلبي تتسارع نبضاته ، تتعثر خطواتي وانا اعود للوراء ،
يسأله الضابط

-هل سعلت؟
يحرك رأسه بالإيجاب!
ليس هو من سعل اشك بذلك فالرجل الذي بجانبه كان يمسح وجهه وانفه بيده !
هل يكذب المجنون ، لماذا يجعل من نفسه قاتل !
لأنه مجنون ولا يدرك خطورة ما يحدث ، او انه القاتل فعلاً ولا يهتم لما فعل ولا يشعر بذنب لأنه اساساً مجنون
يُطرق باب الغرفة
يزمجر الضابط بالشرطي الذي دخل ،
-الم اقل لك لا تقاطعني لو وصل رئيس البلاد !
-سيدي اعتذر ، لكن وصل ..
يد تبعد الشرطي ويدخل بكل جرأة
انه الطبيب!

ومعه رجل طويل جداً ، هل هو القاتل ، بدأت اشك بكل رجل طويل القامة .
يتقدم الطبيب نحو الضابط يقدم نفسه يمد يده يستجيب الضابط لفعله، يجلس ويقف الذي معه خلف كرسيه.
يبدأ الطبيب بالحديث
-وصلني نبأ ما حدث كنت خارج البلدة ، في زيارة لبيت اخي
ويشير الى الرجل خلفه.
اخيه!
هذا القزم كيف يكون اخوه بهذا الطول ؟
يكمل
-لماذا يقتلون رجل مسكين كالذي يعمل عندي ؟
هو حارس اتركه هناك في اوقات سفري .
اسأله
- ولماذا يحرس منزلك؟

المنطقة آمنه ، ثم انت منذ متى تترك حارساً لمنزلك!
ينتبه لوجودي ومن ثم ينظر للمتهمين ويعود بالنظر لي ثم يجيب وهو ينظر للضابط ،
-نحن نسكن منازل حضرة الضابط وليس اكواخ!
ينظر لي باحتقار !
يحاول الضابط ان يعرفني له ، لكنه يخبره انه يعرفني ، ويعلم اني اسكن في كوخ مجاور لمنزله في القرية !
التفت للمجنون ، يقف هادئاً رأسه للأسفل ، ملامحه حزينة جداً، هل يدرك ما يحدث؟
يؤلمني حاله فأتجه مباشرةً للضابط واقول
-هذا الرجل تنطبق عليه ايضاً مواصفات القاتل تلك الليلة، اشير الى اخ الطبيب ، يندهش الجميع لكلامي ، يقف الطبيب يقترب مني ويوجه حديثه للضابط
-اخي كان معي سيدي هو يسكن المدينة وانا كنت اقضي بعض الايام في منزله .
ينادي الضابط الشرطي يأمره بأخذ المجنون واطلاق سراح البقية ، يخبره انه سيستدعيه بعد ان يكمل الحديث مع الطبيب
اخرج انا تلقائياً معهم ينادي عليّ الضابط قائلاً
-من امرك بالخروج
ينهض من كرسيه ويخرج من الغرفة
انظر للطبيب الذي ارى فيهِ رجلاً شريراً قزماً ، كيف؟
منذ فترة كنت اعتبره ملاك صغير !
لماذا اختلفت مشاعري الان؟
اقف بجانب مكتب الضابط الخشبي ارسم بسبابتي عليه اشكال لا افهمها اظنه توتر فقط .
يتجه الطبيب بنظره لي يحدثني لم اسمع اي كلمة ، عند فتح فمه عاد الضابط ،
يضع اوراق وملف اصفر على مكتبه ويجلس قائلاً

-حسناً اذهبي سنطلبك لا حقاً
لا مبالية اخرج كأني لم افهم شيئا
اشعر ان هناك عيون تلاحقني التفت يساري المجنون ينظر لي بعمق عينيه تتحدث بلا صوت !
يده مكبلة بأصفاد مع يد الشرطي

هو لن يهرب محال يفعل ذلك لما هذه الاصفاد ، اشعر انه لا يهتم لأمر الحياة بأكملها ،
اقترب منه يشح نظره عني ، يرفع الشرطي يده يأمرني ان اتوقف ، ممنوع الحديث .
قبل ان اخرج من مركز الشرطة ، التفت من بعيد اجد عيونه تتبعني ، تحاكي خطواتي ، كأنهما تطلبان شيئاً ،و انا ارجوهما ان ينطقا !
امشي بالشارع افكر اين يقطن هذا الشخص ، هل له عائلة؟
اريد ان اعرف كل شيء عنه ليس لدي وقت .
سأذهب للقرية واسأل هناك ، اسأل امي اولاً لعلها تعرف شيئاً ، لا امي ستبدأ اسئلتها ولن تنتهي ؟
اذاً لن اخبرها ان الامر يخص القضية ،
اصل للبيت افتح الباب اتظاهر بالفرح ، تسألني امي ، اخبرها بسرعة ان القضية انتهت وقبضوا على القاتل !
تسأل عن هوية القاتل وماذا حدث ،
ابادرها بسؤال اخر اغير الموضوع بسرعة ،
-ما غدائنا اليوم ؟ انا جائعة
بمناسبة الغداء
امي هل تعرفين اين يسكن المجنون؟
-لماذا تسألين ؟
-هكذا فقط اريد ان اعرف اذا كان لديه عائلة
-الذي اعرفه ان يسكن بالقرب من الجبل في نهاية القرية عند

مقهى الحسناء ويقال انه يسكن مع والدته لكني لم ارها!
اقاطع حديث امي اخرج مسرعة بصوت عال اقول
- سأعود قريباً.
تتبعني امي لكني اركض ولا اسمع ما تقول .
الكوخ نهاية القرية قرب مقهى الحسناء !
لم اشهده من قبل، اصل الى هناك ، الهث متعبه من الجري
اقف انحني المس قدميّ لم اعد اشعر بهما من الالم ،كذباً كنت اقول لنفسي اني رياضية و شابة
امرأة في الخمسين ستكون اقوى مني انا ابنة العشرين!
ارفع جسدي انظر حولي ذاك الكوخ الوحيد هنا
خشب متعب يسنده عمودين من الخارج
اقترب من النافذة ليست نافذة زجاج هي قطعة قماش مثبتة على هذه الفتحة الخارجية لتسمى نافذة اسماً فقط ، احاول ان اجد مكان انظر منه ، هناك ثقب صغير لكن لا ارى شيء
الكوخ مظلم ، يبدو ان هذه الايام كل حياتي مع الظلام!
اعلم انها ليست الطريقة الصحيحة لرؤية منزل ،اطرق الباب
تدخل قطعة من الخشب صغيرة يدي
يا جمال الاحداث المتتالية ، لا شيء يفرح ، احاول ان اخرجها ، يأتي صوت من الداخل ، صوتاً متعباً حزيناً
-من
-انا

- ولماذا لا تدخل يا تراب ؟
تراب اسم غريب ومضحك ، حسناً ليس وقت سخريتك الان اصمتي يا روحي ، وتحدث يا عقلي بعد التفكير طبعاً لا اريد اخطاء !
-انا لستُ تراب ، هل تسمحين لي بالدخول؟
اسمع حركة في الداخل تقترب تدريجياً انها خطوات شخص ،

بعد دقائق يُفتح الباب
اردت ان اقول وبغضب لا يستدعي فتح الباب كل هذا الوقت ، لكن توقف لساني المتسرع ما ان ظهرت من خلف الباب امرأة كبيرة بالسن يتجاوز عمرها الستين مغمضة العينين ،

-جدتي لماذا تغلقي عينيكِ، لا تستطيعين فتحهما بالضوء لأن الكوخ مظلم وتعودتِ على الظلام ؟
-لا يا ابنتي لا يوجد فرق في فتحهم او غلقهما بالحالتين لا ارى ، ثم اني من وقت قريب وضعت علاجاً لهما انهما يؤلماني .
ترفع يدها اليمنى تتفحص وجهي بها ، تكمل قائلة،
-من انتِ ، لا اعرفكِ انا
اجيب بارتباك
-اه نعم ، في الحقيقة انا صديقة ولدكِ.
-هو غائب منذ امس لم يأتِ لأمه ، عادةً لا يفعل هذا تراب ابن بار وذكي ومحال ان يترك امه يوماً ، علمت ان هناك شيئاً ، هل انتِ هنا لهذا الامر

-بالضبط هو حملني رسالة لكِ
يقول فيها انه سيغيب عدة ايام ليقضي بعض الاشغال وأوصاني بكِ.
-اي اشغال؟

هو ترك كل شيء في المدينة حينما انتقلنا الى هنا!
- لا اعلم لكن هو بخير لا تقلقي .
اعود لأتذكر ما قالت ولد بار وذكي وكانت لديه اعمال قبل ان ينتقل الى هنا ، كان يسكن المدينة !
ندخل اساعدها ، تضحك قائلة

انا معتادة يا ابنتي اعرف كل ما في البيت ثم تجلس على حافة سرير صغير صُنع لشخص واحد
انظر للمكان وكل ما حولي
تمسك يدي تلك المرأة تنظر لمكان بجانبها تشير بيدها وتقول -هنا صور له عندما كان صغيراً حتى كبر،
انظر الى المكان الذي تشير له ،لكن لا يوجد شيء
اخبرها بذلك ، تقول انظري جيداً للجدار ، انا وضعت الصور بيدي قبل ثلاث سنوات عندما وصلنا الى هنا،
كنت ارى وقتها ، لكن قبل عام ونصف بدأ نظري يقل وحاول ابني كثيراً ان يساعدني وجلب العلاج من كل مكان بلا فائدة الامر ساء حتى فقدت الرؤية تماماً منذ ثمان اشهر .
هو امس كان ذاهباً للطبيب ليأتي لي بمسكن فقد تعبت فجأة وشعرت ان في عيني جرح وزاد الالم كأني اضيف ملحاً عليهما ، كان الوقت متأخر لكنه لم يستطع ان يراني اتألم،
وعاد بعدها وكان متعب سمعته يلهث اظنه ذهب جرياً ورجع كذلك
ناولني الدواء ونمت انا ، عندما استيقظت لم اجده ظل قلبي مشغولاً به خائفاً عليه ، الحمد لله انكِ طمأنتني
اذهب الى الجدار ، المسه بيدي لا توجد صور لكن هناك اثر للوح كبير معلق ، مازال مكان كل بسمار موجود ،هناك صورة صغيرة خلف مجموعة من الكتب القديمة !
لمن هذه الكتب والصورة؟
اقترب منهم هناك تراب يحيط كل تلك الزاوية يبدو منذ زمن لم يقترب احد هذا المكان !
مع ان البيت نظيف ومنظم بشكل رائع
-من يقوم بترتيب المنزل والاعتناء به ؟
تسمعني تجيب
-هو

اذاً بالتأكيد ليس مجنوناً من يرتب وينظم وينظف هكذا!
القي التحية عليها واخرج ، اعدها اني سأزورها واحضر لها كل ما تحتاج ، هي لا تحتاج غيره ، لكن لا استطيع ان آتيها به ، سأحاول ان اساعدها لتتحمل هذه الايام ، ولو كان بريئاً سأخرجه من السجن سأفعل ذلك ،
امشي والخروف يقترب والصورة التي رأيتها امام عيني تقف وتقترب كذلك والخروف يقترب اكثر ، لا استطيع الحركة تسمرت في مكاني الصورة تغلق عينيّ والخروف يقترب ، قرنيه اصبحا كبيرين اراهما بوضوح الان ، صوت يصرخ بي اظنه يقول ابتعدي ، لكن لا فائدة ، صدمني بركبتي اليسرى بواسطة قرنه وسحق قدمي واستمر بهروبه كان حجمه كبيراً وثلاث من الرجال يركضون خلفه احدهم يمسك بعصا واخر خلع قبعته ووضعها في يده والاخير يبدوا انه اصغر عمراً منهما كان ينظر لي ويضحك ويركض ،
جلست على الارض لأنظر لساقي وما حصل ، لم اجد شيئاً ، كان هناك الم لكن بلا اثر ، بعد الظهر اصبحت ركبتي زرقاء اللون في مكان الصدمة ، لم اهتم لها فالأيام كفيلة بأن تداويها ،
كان عليّ ان آخذ بعض الطعام لأم المجنون او لأم تراب ، على ما يبدوا ان حياتي القادمة ستدور احداثها بين هذين الشخصين !
يا لعجائب القدر !
تذكرت الصورة مرة اخرى كانت لشاب انيق وجميل ومعه فتاة كما هو لطيفة وانيقة وجميلة ، لكن من هما ولماذا الصورة في بيت المجنون ؟
بقيت اتردد على كوخ المجنون واساعد والدته اليومين السابقين ، بالطبع كان عليّ ان اداري الامر عن امي وهي شبه متأكدة وتعرف ما افعله ، لا يوجد اجمل من ام صديقة وامي

كانت اختي وصديقتي وامي وكل حياتي الهواء الذي استنشق تشعر به وتتعرف عليه وتحاول ان يكون نقياً لكي لا يؤذي صغيرتها ، امراً صعبا ان اخبأ عليها ما افعل .
ولهذا بعد ايام صارحتني بالحقيقة انها تشعر اني افعل شيئاً لا تعلم به او ربما تعلم عنه قليلاً وتدرك لمن ينتمي اساس الموضوع وبهذا كُشف سري !
حاولت ان اقنعها بالأمر لكن بلا فائدة فالحالة خطرة والحادثة جريمة قتل ، لذلك امي لم تصبح المحقق الثاني معي بل اصبحت المحقق عليّ.
يجب ان اذهب اليوم لرؤية المجنون او تراب او القاتل اي كان فأنا اريد ان اتقصى الحقائق بنفسي
امي وافقت على ان اساعد والدة المجنون لكن لا افعل غير ذلك اساعدها فقط لأنها بالفعل تحتاج المساعدة وهذا ما ادركته امي من حديثي لها، ساعدني هذا الامر بأن اذهب اليوم لرؤية المجنون والحديث معه فلم ابق كثيراً عند الخالة ، اعطيتها فطورها وذهبت مسرعة، بعد ان تحدثنا انا وهي الايام السابقة تأكدت ان المجنون ليس مجنوناً او ان والدته تُخرف او انا التي ستصاب بالجنون !
امام مركز الشرطة اقف اضع يدي على قلبي اخبره ان يكون قوياً ويثق بعدالة الله ، يسألني رجل الشرطة الذي يقف عند الباب مع اثنين اخرين احدهم يشرب شاي يجلس على اريكة خشبية متعبة السنين وقعت عليها اثرها واخر يجلس بقربه ينظر الى الطريق لا اظنه يحرس المكان او ينتبه له لكن هو يظن انه يفعل ذلك ، بينما اجده غارق في افكاره يبدوا ان مشكلة حصلت معه تشغله فعيناه لا تنظر لشيء معين هما شبه تائهتين ، انظر للذي يسألني قائلاً
-ماذا تريدين؟
رجل اسمر اللون ضعيف جداً

كيف لهؤلاء ان يكونوا رجال شرطة ويحمون الناس اجدهم اولى بالحماية!
اخبره
-اتيت لزيارة احد السجناء

يقول ان اليوم لم يخصص للزيارات وهناك اوقات محددة ، ويشير الى ورقة معلقة على جدار بناء المركز
كُتب عليها اوقات زيارة السجناء الاحد والاربعاء من الساعة التاسعة صباحاً الى الثالثة ظهراً
ليس حتى غد فاليوم الاثنين ، هل يجب ان اتحمل الكلمات داخلي كل هذا الوقت؟
وانا التي لا تتحمل ثانية وتنطق بكل ما تريد ، يا الهي كم مرة سأراجع ما اريد قوله ، بالتأكيد لن يكون ليلي ليلاً

استيقظ مفزوعة افتح عينيّ بقوة تحرقاني لأنهما تعرضتا فجأة للهواء لكن يجب ان افعل ذلك لكي لا اعود للنوم وارى ذلك الحلم!
تسألني امي وصوت النعاس يؤثر على صوتها الخوف يربك قلبها
هل تكرر ذات الحلم
اجيب بهدوء وانا انظر في البعيد
-نعم
-الم يتوقف منذ اشهر
تقول تلك الجملة وهي تسند رأسها للحائط عند الباب ثم تلتفت ببطء وتعود لغرفتها للنوم
انظر الى ساعتي الصغيرة بقربي هذه بميليها الصغيرين تتحرك تعمل لا تتوقف نائمين عاملين ، غاضبين ، فرحيين هي تعمل ، الصغير امام رقم اربعة والكبير بجانب رقم خمسة

اختراع غير جميل امقته صعب ان اتحمل شيء لا حي يحدد وقتي ويومي ويأمرني ان انهي عمل ما بوقت محدد، يجبرني ان استيقظ او انام !
الحلم الذي بدأ معي منذ احد عشر سنة
انا اركض ومعي شخص وتلاحقنا وحوش ضخمة بأشكال مخيفة مرعبة تريد قتلنا والتهامنا
اركض ،اركض وهو خلفي بقليل والوحوش تتبعنا ، اتوجه لبيت في نهاية طريق طويل ،
احاول الوصول اليه قلبي يخفق بسرعة ويخنقني يكاد يخرج من فمي
اصل افتح الباب ادخل ، يصرخ الذي خلفي لا تغلقي الباب انتظري
انتظره وانا اموت خوفاً الرعب يملئني ،لكن الوحوش تتقدم ايضاً ، فجأة يُغلق الباب
لا ادرك هل انا من اغلقته او لا ، لكن قوة من الخوف تُغلقه بسرعة ، الباب يُغلق امام ذاك الشخص الذي وثق بي وركض معي يريد ان يدخل ايضاً ، لكن امامه وببطء ارى كيف يُغلق الباب وهو واقف حزين عينيه تعاتباني الماً فيهما قوة غريبة وحزن عميق ..
اليوم رأيت في منامي ذاك الشخص ، كل مرة لا اراه ، او اراه وانساه ، لم اره يوماً بهذا الوضوح ،
عيناه امامي الان بتساؤلهما وكبريائهما العظيم وخذلاني لهما الذي ترجماه على هيئة بريق ،
لكني رأيت هاتين العينين من قبل !
اين ؟ لا اذكر
رأيتهما من وقت قريب ، لا اظن في ذات الحلم !
رأيت هذا الالم الناطق لكن اين؟
نعم .. تذكرت

عينيّ المجنون هما عينيه حينما رأيته في السجن !
لكن لم يكن هو ذاك الرجل في الحلم ؟
يا الهي كان الشخص الذي في الصورة!
تباً المجنون والعاقل المرتب الانيق في الصورة هما شخص واحد!

العاشرة صباحاً – مركز الشرطة
المجنون وانا اقول
-صباح الخير
لا يرد لا يقول شيئاً
ابدأ حديثي معه
-لابد انك لا تعلم كيف تُجيب على التحية ، لأنك لا تعرف معناها اساساً ، واكيد انك تساءلت من الذي يزورني هنا ؟
فلا شخص يعرفني !
لكن كيف تتساءل وانت مجنون؟
ينهض وعينيه غاضبتان وبطبعه الحاد يتجه نحو الباب يضع يده اليمنى على المزلاج ، اسرع باتجاهه اثبت الباب بيدي اكمل بهدوء
-المهندس تراب البالغ من العمر احدى وثلاثون عام كان طالب مجتهد وذكي ، لاحظ كل اساتذته ذلك ،كان رساماً ايضاً !
يعيش مع امه بعد ان فقد والده الذي عُرف بأخلاقه وحكمته وصفاته النبيلة وهذه الصفات هي التي اخذته للموت حسب رأي ابنه تراب !
فلولا تلك الصفات لما تدخل في الشجار الذي حدث بين شابين متهورين ، اراد ان يصلح بينهما ويهدأ من الحرب فقُتل!
اشتعلت ناراً عينيه ، لأول مرة ارى عينين يشتعلان هكذا ، لونهما بني فاتح والغضب يأكلهما وبريق الدموع في الزوايا لا يخرج ليطفئهما .

لكنه ما زال وباستسلام غريب يسمع ولا يرد على حرف
لما الصمت؟
أكمل
-أَحب تراب صديقته وزميلته في الكلية ثم في العمل ، لم يحبها فقط بل قدسها ، لكنهم تركوا بعض لماذا ؟
لا نعلم الاسباب !

او اننا ندرك بعضه
حينما أُتهم تراب بأنه يخطط لسرقة مجهود الشركة التي يعمل فيها وانه كمهندس لا يقوم باستخدام المواد المناسبة وان تصاميمه الاخيرة التي قدمها كانت مسروقة !
كور قبضة يده حتى رأيت شرايينها وتحول كف اليد الى اللون الاحمر ونهاية الاصابع الضاغطة على راحة اليد صفراء.
لكن كل هذا بلا ردة فعل تُذكر!
استرسل قائلة
ترك كل شيء واعطى كل ما لديه من مال باع حتى منزله ليسدد الشرط الجزائي لاستقالته من العمل لان هذا ما ينص عليه عقده مع الشركة وكذلك لتخليه عن الاعمال التي في يده وقتها وليتخلص من القضية الملفقة عليه !
فقط اراد نفض كل المشاكل ، لم يهتم ان يبرئ نفسه هرب!
غادر مع امه الى القرية ، ثم فجأة اصبح مجنون!
يقف وسط الغرفة الصغيرة ادور حوله واقول
سارق، وذكي ، مهندس ورسام فجأة يتخلى عن كل هذا ليصبح مجنون !
انتهيت .. انا كل ما لدي قلته اريده ان يتحدث الان فلا يجيب
يهم بالمغادرة ايضاً ، يا خالقي ماذا افعل ؟
كيف استفزه لينطق؟

اقول
-قبل ان آتي اليك وانا في الطريق رأيت بقرة سوداء وبيضاء !
في ظهر تلك البقرة توجد قرادة عذبتها ومازالت تمتص دمها ، تقتلها وهي حية !
هناك طائر كلما حط على تلك البقرة يريد ان يأكل هذه القرادة طردته بحركة من ذيلها ، هو يقف وهي تطرده لكنه ما زال يحاول معها ، هي لا تستطيع ان تخلص نفسها ولا تتركه يخلصها!
لكن تأكد ان ذلك الطائر ان تعب سيغادر !
حاولت ان اجعله يفهم وانه يجب ان يترك الطائر يخلصه من هذه الجريمة والا مات تدريجياً.
اكمل موجهه حديثي له وبقوة
-انت تعلم ما الذي سيحدث ؟
يلتفت ينظر لي
-سوف تنقل بعد يومين الى مركز المدينة ويحقق معك هناك والنتيجة اما تُعدم او تحكم مؤبد هذا في حال اثبت صحة عقلك اما في حالة تأكيد جنونك ستنقل الى مستشفى المجانين !
اصمت قليلاً واكمل بعدها
والدتك المسكينة ، برأيك كيف ستكمل حياتها ؟
انت تحكم عليها بالموت ، هل ترضى ان تقتلها حية ؟!
يريد الرد يتلعثم
اصرخ به قائلة
-تباً انا اعلم انك لست مجنون ، لماذا تصدق كذبك يا انت؟

انت بكامل عقلك لما تتخلى عنه!
انظر لعينيه يرتبك قلبي، خوف يملئني لكن بجرأة اقول
-عينيك قويتين ، يتساءلن يعبرن عن كل شيء يفهمن الحديث يجيبا عليّ بصمت هما لعاقل اكيد!

انا فقط اردت ان اخرجك من هذا الخراب
يقول بغضب
-حسناً انا لست مجنون
هذا الخراب يعجبني انا صنعته بيدي
انا احطت نفسي بكل هذا الحطام
افرح لأنه رد اشعر بسعادة لسماع صوته تجعل دمي في جسدي يرقص فرحاً، يكمل حديثه
-ما الفائدة من كل هذا ؟
ان كنت مجنوناً او غير ذلك ما الذي سيحصل ، انا متهم بجريمة قتل وانتِ تدركين ، بل انتِ شاهدة ايضاً وادليت بأقوالك ضدي ،
ثم تأتين الان لتحققي ؟
ماذا تفعلين ، ماذا تريدين ؟
من انتِ؟
-انا امرأة قانون انا محامية
يصدمه كلامي ويصدمني انا ، كيف استطعت ان انطق هذه الجملة ؟
نعم انا تخرجت من كلية القانون لكن فقط اسماً لأني اخاف هذا العمل لم امارسه يوماً ، عاهدت نفسي ان لا اعمله ،
لأني ارى المجرمين يخرجون من خلف القضبان بواسطة هذه المهنة رغم ان الكثير قال لي انها كذلك تحرر الابرياء !
يصوب عينيه اتجاهي حتى اشعر انهما يخترقان عيني ويصلان دمي ما هذا الرجل ؟
احاول ان لا ارتبك اقول له بصوت مكسرة حروفه يجب ان تخبرني بما تعرف لكي اساعدك خلال هذه الايام ، فبعدهما يصبح الامر صعباً وتصبح القضية بيد المحاكم اما هنا اذا اثبتنا انك لست القاتل سيفرج عنك!
رد عليّ سائلاً بثبات

-لماذا تعتقدين بأني لست القاتل
-لأنك محال ان تقتل
-لأني مجنون
-لا بل لأنك انسان والقليل من البشر يمتلكون هذه الصفة ، انها الانسانية
يشيح بوجهه عني ويقول بنبرة ساخرة
-انسانية !
وكيف تعرفين اني انسان لا يوجد بشر يمتلك هذه الصفة الان !
اقول له مهددة بالانصراف
-حسناً سأذهب ولتقل انك القاتل ولتسجن مؤبد او حتى تعدم ولتترك امك وحدها في الجبل لما سيهمني الامر ما زلت انا ايضاً لا املك انسانية !
يقول وهو ما يزال وجهه للحائط وظهره لي
-تعلمين اني كنت هناك
انتِ تدركين ذلك جيداً ، ان الامر اشبه بمعجزة ان اتخلص من هذا الحبل الذي يقترب من عنقي
يدهشني انه تكلم وكذلك استغرب انه فعلاً الذي رأيته ليلة الحادثة ، يُكمل
-انا رأيتك ربما انتِ لم تتبيني ملامحي لكني شاهدتك ، لا اعلم كيف عرفتكِ
لكن ما ان رأيتكِ عرفتكِ
ربما طولك ، حجمك ، او ضوء عينيكِ لكن شاهدتكِ فأنا اذكركِ جيداً ، اعلم انكِ نفس الفتاة التي تلتقيني عادة وعيناها تحدثاني ، تسلاني
قاطعته قائلة
-ماذا تسألك عينيّ ؟
التفت ناظراً لي وهو ينظر بعيني
-تسأليني دائماً من اكون ؟

تساءلت بصوت هامس
-وهل هذا واضح هكذا ببساطة ؟
او انك اخترقتهن فرأيت ما يريدان !
-ليس هذا محور القضية
يحرجني رده اجيب بخجل
-اسفة اكمل حديثك، كيف قتلته؟
يضحك بوجع من سؤالي يغمض عينيه يقول بصوت مرتفع
- يا فتاة لستُ انا القاتل!
حينما ذهبت في ذلك الوقت لإحضار اي علاج لتهدأ امي ، كان المنزل ساكناً ، مظلماً ، لم اجد احد هناك لكني كنت مصراً على ان اجد اي علاج لأمي
ولأني اعرف بعض الادوية قلت لنفسي حتى ان لم اجد الطبيب سأفتش عن دواء وبما اني وجدت الباب مفتوحا دخلت!
حاولت ان اجد مفتاح الضوء في البيت تلمست الجدار حتى وجدته فأنار المكان،
اسفل مفتاح الضوء مكتب خشبي ابيض
فتحت درج فيه عدة ادوية مسكنة ومهدأه اخذت شريطاً واحداً بسرعة
اغلقت الضوء كنت مرتبك وخائف وخجل من فعلي لكن الامر لا بد منه !
وانا امضي للخارج وليس كما دخلت امشي بقرب الحائط
تعثرت بشيء فركلته بقدمي لأتأكد ما هو؟
حاولت ان اعرف حجمه كان شيئاً كبيرً ، اثنيت جسدي تلمست بيدي تبين انه جسد بشر !
وقتها قلبي اخترق نبضه اذني ورعشة سرت في جسمي
خرجت مسرعاً من المنزل .
اعتقد لحظة خروجي كان هناك شخص خلف البيت
-نعم انا

- لا لا لستِ انتِ
انتِ كنتِ خلف الشجرة
-كيف عرفت؟
ضحك قائلاً
-الشجرة كان تهتز ، ترتجف يبدوا انكِ شجاعة جداً
غضبت من سخريته مني
تحركت متقدمة منه قائلة
-انا اريد مساعدتك وانت..
لم اكمل الجملة تعثرت وسقطت
مد يده ليساعدني على النهوض وقال ضاحكاً
-لتساعدي نفسكِ اولاً
اخذت يده ووقفت ، كانت يده نظيفة واصابعها طويلة واضحة رفيعة كأنها يد فنان ،وانا احاول ان اخفي الم سقوطي قلت له
-اذاً تظن ان ذلك المختبئ خلف البيت هو القاتل ؟
-لا اعلم ربما وربما كان مستطرقاً فضولياً مثلكِ

-هنا اول شيء ينقذك هو شهادتي بوقت رأيتك واختلاف الوقت بينها وبين موت المقتول ، سيعرفون هذا من تقرير الطبيب.

انتهى وقت الزيارة قاطعنا صوت قال تلك الكلمات
التفت كلانا ليرى الشرطي الذي اعلن انتهاء لقائنا وحديثنا الاول!
نظر لي بادلته ما فعل ، قالت لي عينيه بصمتهما انا اضع كل ثقتي فيكِ ،
رد لساني على صمته وانا مغادرة
- اطمئن لا تخف !
لا اعلم كيف اقول له لا تخاف وانا الخائفة.

امشي مستغرقة في التفكير
هل المقتول كان يعمل عند الطبيب فعلاً؟
اذا كان كذلك لما لم اسمع عنه ابداً او اراه؟
انا يجب ان ارى الجثة لأتعرف عليه واعرفه اذا كان من القرية!
لكن قبل كل هذا عليّ البحث في مكان الجريمة لعلِ اجد شيئاً
فهم يقولون ان المجرمين دائماً يتركون خلفهم اثراً وكذلك
سمعت انهم يترددون على المكان !
المنزل محاط بأسلاك ممنوع الاقتراب منه
غريب لماذا الى الان لم يتدخل الطبيب ليعود للسكن فيه؟
هل يعقل ان يعود هو واخيه الى المدينة واذا كانوا هنا اين يقطنون ؟
الامر ليس صعباً هناك شرطي واحد امام المنزل !
أتجه خلف البيت لأرى المكان الذي قال المجنون انه سمع شخص هناك،
لماذا اقول عنه مجنون الى الان
عموماً مجنوناً او عاقلاً باسم او بلا اسم لأعمل الان .
يا للحظ هناك شرطي اخر خلف البيت
هل يعقل ان كل هذه الحراسة بأوامر الشرطة او الطبيب؟
سأدخل خلسة وان اكتشفوا امري سأقول لهم اي عذر لحظتها!
ارمي حجراً بعيداً ليلتفت له الشرطي الحارس ، لكنه لا يسمعه او لا يريد ان ينهض من مكانه .
حسناً لن ادخل من الباب الامامي ولا الخلفي
سأعبر من خلال الاسلاك بهدوء ،المس الاسلاك ارجوها ان تكون رؤوفة بي
ابعدها لأعبر انجح في ذلك اضع قدمي داخل حديقة المنزل
اتقدم شيء يمسك قدمي بل يخترقها اصرخ اضع يدي على فمي الالم لا يحتمل ،انحني انظر لساقي هناك نهاية سلك اخترقت

جلدها ولحمها مع قوة تقدمي ، الدماء تخرج اسحب السلك بصمت عظيم ووجع اعظم !
لا شيء استطيع ان اضعه على الجرح ليصمت هو الاخر ويتوقف عن اخراج الدماء اخذ من حشائش الحديقة واثبتها على الجرح بقوة ، وامشي بهدوء ويدي على الجرح اصل للمكان الذي كلمني عنه تراب ابحث في الارض عن اي اثر ،
ماذا تفعلين هنا ؟
يأتي الصوت في الوقت الغير مناسب يصدمني ، يجلسني ارضاً من الخوف
يكرر ماذا تفعلين هنا ،
انظر له وعينيّ مرتبكة وتدمع ورعشة في كل جسدي
اخبره بصوت متقطع ،
لقد كنت ابحث هنا عن اكرر كلمة عن لأني لا اعرف عن ماذا ابحث ،
يصرخ بي عن ماذا
-عن قلادتي ،، نعم لقد فقدتها صباحاً وانا امشي من هنا ،
-لم اركِ ، وحتى ان صح ما تقولين لما قد تبحثين هنا فالمكان مغلق منذ ايام
-ليس هنا بالضبط ضاعت خارجاً لكن قدمي واشير الى ساقِ المجروح ، قد اخترقها السلك وقلت لنفسي سأجد عند الطبيب علاج!
-الطبيب ليس هنا ، يسكن في مكان اخر الى ان تنتهي القضية
-اين يسكن ؟
يريد ان يجيب لكن يصمت فجأة ويقول
-ما دخلكِ انتِ
- ... في الحقيقة خالتي مريضة وتحتاج لمسكن وانا كما ترى كذلك احتاج لعلاج او ربما يخيط هذا الجرح!
في الحقيقة الجرح ليس بذلك العمق لكن احاول ان اجعل

الشرطي يتحدث.
- لا اعتقد انه يزاول مهنته هذه الايام
كذلك لا اعلم مكان سكنه بالتحديد لكنه في اطراف القرية .
يسرع لمكان ما ثم يعود بعد ثواني يحمل قطعة قماش قائلاً
-لفي الجرح بها وامضي الى منزلكم ، غير مسموح البقاء
هنا اذا اتى الضابط المسؤول ورآكِ يفصلني عن عملي!
اريد ان اخرج من بين الاسلاك
يضحك قائلاً تعالي من هنا ، امشي خلفه بصعوبة ،
شيء في الارض يلمع يجذب نظري اريد ان اخذه يلتفت لي
سائلاً ما الذي حدث ؟
اخذ من الارض الشيء الذي لا اعلم ما هو اخفية بين راحتي
واصابعي اضغط عليه بقوة واقول له انها ساقي
يقترب مني قائلاً
-هل اساعدكِ
- لا سأكون بخير .
اخرج من المكان والشرطي ينظر لي
ابتسم له شاكرة ثم بكل ما تبقى لي من قوة اسرع الى ان
وصلت لبيت تراب لا اعلم لماذا رحت الى هناك ولما قدمي
سارت بي اليه!
اجلس بعيدة قليلاً من الكوخ افتح يدي انظر للذي اخذته من
الحديقة ، كان سوار نسائي !
عبارة عن قطعة ذهبية اللون دائرية صغيرة فيها محفور شكل
وردة ترتبط نهاية القطعة بشريط جلدي اسود اللون !
لكن ماذا افعل به وما فائدته ، لا اعتقد ان هناك امرأة عالقة في
القضية .
يجب ان اعرف هوية المقتول حتى اعلم من القاتل ،ولأفعل هذا
عليّ ان اكون محامية!
اتخلص من كل هذه الافكار واطرق الباب لأطمئن على ام تراب.

انهيت زيارتي بوقت قصير
يجب ان ينتهي كل هذا بسرعة
انا امر في مرحلة اكتئاب اعلم ان من يصاب بهذا المرض لا يدرك انه مصاب به لكن انا افهم حالتي فالقلق والتوتر والحزن الذي يصيبني ثم اني اتهم شخصاً واحداً بانه السبب في كل المي
كل شيء مشوش امامي لا يرضيني اي فعل واغضب من كل ما حولي
يجب ان افهم القضية بتفاصيلها
هل استطيع ان اكون محامي دفاع وشاهد؟
عليّ ان لا اجعل الامر يصل الى ان نحتاج محامي يجب ان ينتهي في وقت قصير ..
لأبحث عن الطبيب
اصل للمكان الذي يسكن به اسخر من القدر الذي وضعه الان في بيت يسمى كذباً بيت عبارة عن قصب وخشب متعب وقش ،
هذا الذي يهزأ بكوخي انظر اين يسكن الان؟
ما كان ابن الامس يعلم انه غداً يفلس
بينما احاول الدخول سمعته يتحدث مع شخص اقتربت لأسمع وهذه العادة السيئة حينما انتهي من هذه القضية سأتخلص منها مع اصحابها.
يقول لشخص لا ارى منه شيء لكن واضح انه يتحدث مع كائن
-انت عليك ان تبقيها هناك ولا تجعلها تنطق حرفاً اخبرها اننا سنغرقها مالاً
- انا فعلت كل هذا لكنها خائفة ولا استطيع ان اثق بها ،سأقتلها هي ايضاً
يقف الطبيب غاضباً يمسك يد الذي امامه بقوة يقول له
-تباً حاول ان تهدأ وتتمالك نفسك والا ضعنا
اذاً هذا هو القاتل !

قال ايضاً يعنى انه قتل شخص اخر قبل الان ، وعلى هذا الاساس للطبيب علاقة بالقاتل !
يجب ان اراه ولو كلفني ذلك روحي ،احاول ان انظر من حول المكان بلا فائدة ترجى ،
شخص يخرج اختبأ انا، يصرخ من ورائه الطبيب حاول ان تهدأ وافعل ما تريد لا تنسى انها تعرف كل شيء!
ذلك يرد عليه ملوحاً بيده.
عليّ ان اسرع خلفه لألحق به لكن هذا الطبيب المكروه بقي ينظر ورائه حتى اختفى اخيراً دخل الكوخ
احاول ان اهرب من المكان من غير ان يلاحظني ذلك المشعوذ آمل انه لم يرني ، الاخر اختفى اثره لكن اذا اسرعت ربما الحق به
من تلك المرأة التي يتحدثون عنها ؟
وجدته في نهاية الطريق يبدو ان كلب اخره يحاول ان يوقفه ويعض نهاية بنطلونه يضربه هذا القاسي بلا رحمة لكن هو مواظب على ما يفعل ، انه صديق المجنون هذا الكلب كان صديقه ، ما اوفى هذه الكائنات تفهم احساسنا
بعض البشر لا يفهم حتى كلامك اما الحيوانات تفهمك من احساسك من نظرتك من نبض قلبك
يتركه الكلب ما ان يراني كأنه يعرفني او كأنه ملاك !
امسح على رأس الكلب واقبله وامضي سريعاً
امشي كثيراً قطع مسافة طويلة وانا اتبع خطواته السريعة ، قدمي بدأت تنزف ووجع يخترق جسدي لكن ما زلت ورائه، يصل كوخ يطرق بابه ثواني يُفتح الباب ويدخل.
لا اسمع شيء اتوتر اكثر لا مكان يجعلني استرق سمعاً او نظراً ، دقائق ويخرج ربما مر خمسة عشر دقيقة ، يغادر المكان ، ولم استطع ان اراه !
بكل جرأة لا اعلم من اين اتت لي

اطرق الباب اسلم على المرأة بيضاء نحيلة الجسد ، بريئة متعبة الملامح
في عينيها دهشة وخوف ، اخبرها مباشرةً لا تخافي انا من الشرطة ، لا اعلم سبباً لكذبي لكني استمر ،ونعرف هذا الشخص الذي خرج تواً هو القاتل !
تعود المرأة للوراء قليلاً ، احاول تهدئتها ، تقول ويديها ترتجف
- نعم هو قاتل زوجي انا رأيته في تلك الليلة
ثم جلست على كرسي خشبي ساعدتها انا في ذلك ، عيناها تنظر للمجهول قالت
- ذهبت لأعرف لما تأخر زوجي فهو يعود السابعة مساءً اما في ذلك اليوم تأخر حتى الحادية عشر!
وبعدها الى الواحدة مما جعلني اقلق واخاف ، حينما ذهبت رأيت الدكتور واخوه هذا الذي رأيته الان
كان الطبيب يصرخ بزوجي وبدأ بينهم شجار ، في الخلف يقف اخو الطبيب وبينما الاصوات تعلوا حتى انتهت بصرخة قوية من زوجي رأيت وقتها اخ الطبيب يطعنه من الخلف!
لم اسيطر على نفسي وقتها فلاحظ كلاهما وجودي
اردت ان اهرب لكن الطبيب مسكني من يدي بقوة .
بدأ جسد المرأة كله يرتجف ووجهها تحول الى قطعة صفراء اللون .
حاولت ان اطمئنها قدمت لها بعض الماء لكنها لم تتناوله ، تذكرت السوار ، وضعته امامها سائلة هل هذا لكِ؟
قالت نعم ثم رفعت عينيها تنظر لي
انا اقف بجانب الكرسي الذي تجلس عليه
سألت
-من اين حصلتي عليه؟
اخبرتها هذه امور سنكشفها لاحقاً لكِ ، ما عليكِ الان سوى

مساعدة الشرطة ،
قالت بخوف
-لا استطيع هدداني بالقتل!
-وهل هذه التي تعيشيها حياة ، وهل ستسامحين نفسك؟
روح زوجك لن تغفر لكِ ان لم تعترفي على قاتليها ، ثم هناك شخص بريء متهم ، ولديه ام مريضة لا معيل لها غيره، هم لن يؤذوك محال سيكونون بالسجن اعدكِ بذلك.
لا اعلم لما اخبرتني المرأة بكل ما حدث بتلك البساطة ولما استسلمت واقتنعت بما قلت لها بهذه السرعة!
دقائق ونصل مركز الشرطة تدلي بكل ما تعرف
يأتون بالمجنون ويسألوها ان كانت تعرفه فتجيب انها لم تره يوم الحادثة!
يخاطب الضابط المسؤول المجنون ويقول له
-سنتحقق من اقوال السيدة واذا ثبت كلامها انت بريء والفضل لهذه المرأة
فتقول زوجة المقتول بارتباك
-لا لستُ انا فلولا هذه الفتاة لكنت الى الان في بيتي خائفة منهم ومن نفسي ومن الحياة ، يجب ان نواجه ما نخافه ، لا يجب ان نبني سور حول انفسنا علينا ان نتحرر قليلاً من كل مخاوفنا ، انا امرأة ريفية بسيطة لكن هذه الشابة اقنعتني ان لكل منا دور وحياة يجب ان يعيشها !
ينظر لي ويبتسم ، ما الطف هذا الكائن وما اعمق تعابيره التي لا تنطق بحروف .
يأمر الضابط بالقبض على الطبيب واخيه ،
عدت في اليوم التالي ، قال الضابط حاولا الانكار لكن اعترفا بعد ذلك ، سألته عن المجنون قال انه غادر منذ الصباح بعد ان تمت تبرئته بالكامل .
حسناً اذاً هو بخير الان ، اعود للبيت اخبر امي بكل ما حدث

وانه خرج تسألني ان كنت زرته ،
قلت لها ولماذا ازوره ما كان يجمع بيننا القضية وانتهت.
لكن في داخلي شيء يطالب به يريد ان يطمئن عليه ، صوت طرق الباب يخرجني مما كنت افكر ، تذهب امي لفتح الباب ثم تأتي لتقول شخص ما يريدك ، اسألها
-من
تقول لا اعرف!
هذا هو نعم المجنون ، اضحك لان امي لم تتعرف عليه بشكله الصحيح كـ شاب جميل انيق ،
اقول بدهشة المجنون ، ثم انتبه لنفسي واضحك مصححة ما قلته اقصد تراب ماذا تفعل هنا؟
يقول بصوت رجولي خشن وحاد وفي نفس الوقت هادئ هل يمكن ان نتحدث قليلاً .
- نعم بالتأكيد تفضل
- لا افضل ان نخرج
-حسناً دقائق واحضر انتظرني ، اذهب لأنتعل شيئاً ، من غير ان اغير ملابسي بسرعة اخرج ،
اجده واقفاً بعيداً قليلاً عن البيت ينظر لشجرة متوسطة الطول ويمسك بأوراقها،
اقول له
-تحررت الان تستطيع ان تعود لعملك وحبيبتك وكل ما تريد .
التفت لي وقال
-لماذا اعود لشخص لم يصدقني في حين اني كنت في افضل حال وكنت ادافع عن قضيتي بكل ثقة ، واترك شخص صدقني وانا صامت وقرأ عينيّ
تبتسم وتنظر للأرض يقترب منها يضم راسها الى صدره لتسكن هناك عند نبضات قلبه .
هناك جمال لا تراه العيون القلوب فقط تدركه

سوء حب

رسالة وجدتها من متابعة ما ..
كان عنوانها
سوء حب تقول
-بينما كنت اقلب اوراق دفتري وجدت اسمك
خُطّ بين الاسطر بحروف قبيحة كونت اسم مزعج
معها اشكال تثير السخرية قلب وعين
قلوب غبية مكررة !
مزقت الورقة ولم اكتفِ بهذا فأحرقت الدفتر
ما ذنب اوراقي بحماقة حبك
كان شخص جبان ، لا يعرف معنى الحب حتى ينطق به ، متردد ، بارد ، ضعيف الفكر ، تقوده الحياة كما تريد ، لا اكرهه الان لكن لا اريد ان اكون معه ، لان الرجل الذي حلمت به وتصورته ، لا يشبهه هو لا يملك اي صفة من صفات الرجولة التي ارغب بها،
التقيته في الصيف شهر حزيران اعتقد في منتصف الشهر ، تقريباً في السابع والعشرين من العمر ، ابيض البشرة متوسط الطول مائل الى القصر، ليس ضعيف وغير سمين ، هو دائماً هكذا حتى في صفاته لا يتجه لشيء معين ليس جميل كذلك ليس قبيح ، هو انسان طبيعي ، حدثني وطال الحديث واستمر الكلام بيننا والسؤال ، لم اشعر اتجاهه بأي شيء ، غير انه شخص عادي في حياتي سيمر وينتهي وجوده في وقت ما ، ليس من عادة الكائنات الذين التقيهم ان يتركوا بي اثر ، في الحقيقة لا شخص يترك بي اثر او يجذبني اليه !
ايام يكلمني وارد عليه كـ رد واجب لا اكثر ،
ثم اتت الكلمة التي علمت انها ستصل قبل ان تصل، حدد موعد

للقاء كالعادة ، في مكان ما من تلك المدينة وقد مر على معرفتنا ببعض سنة ونصف
انه يحبني !
لم اكذب عليه ، اخبرته اني لا احبه ، لكنه لم يستمع للرد ويهتم به كـ عادته ، وقال
- سننتظر ، ستغيرين رأيك .
اهتم بي كثيراً خلال فترة ما بعد الاعتراف ، يسأل ليلاً ونهاراً وما بينهما ، اشعار وكلام حب وكل ما لا يشعر به القلب من كلمات المجاملة !
انا لا اشعر بالكلمات اذا لم تكن صادقة ، هذه عادة فيّ جعلتني اكتشف الكثير وخسرني ايضاً الكثير بسببها .
ثم بين الحب واللاحب ، بدأت احبه
ربما احببت الاهتمام ، ربما احببته شفقة ، لكنه في الواقع ليس الحب الذي يأتي كالغزو ، هو حب تسلل ببساطة اليك ، ثم اتفقنا اننا نحب بعضنا ، كلانا يحب الاخر!
قل الاهتمام ، كثرت صداقاته مع الجنس الاخر، زاد تكبره على لا شيء !
برود ، اسئلة غبية ، اهتمام مزعج خائف ، متردد ، مرتبك ، لا شيء فيه يصرخ انه يحبني ،
لا شيء يثبت ذلك!
حاولت تقبل انه يغيب اسبوع واسبوعين واكثر ، ثم يسأل ساعة ،
قلت انه مشغول او ربما لا يريد ان يزعجني
او ..ربما لم اعد اهمه !
وبالفعل الاختيار الاخير كان هو الحقيقي والصح، شخص لا يدرك ماذا يريد من الحياة،
انسان تائه ، يريد فقط ان يشغل نفسه ساعات ، كرهت نفسي ، كرهت قلبي

رغم انه لم يحب باختياره انا اجبرته على ذلك
هي ايام والجرح الذي اصاب قلوبنا يلتأم
بعد فترة تقريباً عامين ، حذفت كل شيء يذكرني به
لكن الوجع انني منحت لشخص كهذا في يوم ما قلباً لا يستطيع الحلم به!
اخبرتها سأكتب قصتكِ اعدكِ بذلك رغم غباء هذا الحب
ابداً لا يجب ان نقول نعم لشخص هكذا شفقة
عليك ان تقول لا وبقوة
لا تكذب على نفسك او غيرك بالمشاعر ، القلب ليس للتجربة ، ارفض الحب الذي لا تشعر به
ارفضه من اجلك ومن اجل الاخر.

رمح و نار

كانتا صديقتين ، لا يعرفن متى بدأت صداقتهن لكن يعرفنّ جيداً انهن صديقتان ،
درسن معاً ، قضن اغلب اوقاتهن معاً ،
كانت رمح بيضاء قصيرة ، عيونها ذكية ، هي عملية جداً ، تفكيرها دائماً عملي وتعرف جيداً ما تريد.
اما نار فكانت سمراء عيونها جميلة واسعة ، تضحك دائماً وتبتسم في وجه من تعرفه ومن لا تعرفه ، تتمتع بكل شيء في الحياة ، تنظر لما حولها كأنها تراه للمرة الاولى وتمتلئ عينيها بلون الحب ،
هي عاطفية وحساسة لكل شيء ، لكنها لا ترغب بالتعود على شيء ، لذلك تهرب من كل الناس ولا تبقى معهم كثيراً ، كل وقتها تقضيه مع رمح هي صديقتها الوحيدة ،
اما رمح فكانت تتمتع بكثير من الصداقات والعلاقات ، لكنها علاقات من اجل المصلحة ، كل شخص تحتفظ به من اجل عمل او حاجة ما.
تزوجت رمح في عمر الثانية والعشرون ، لكنها لم تنشغل عن صديقتها وكانتا على تواصل دائم ،
نار كانت تزورها كل يوم لكنها قللت هذه الزيارات ، وبدأت تختفي من حياة صديقتها وهذا ما لاحظته رمح ، سألتها عن سبب بعدها فتتحجج بكلمات تائهة او انها مشغولة او متعبة ، لكن هذه الحجج ليست كافية لأقناع رمح ،
وفي يوم كانت نار في غرفتها الوردية ، كل شيء فيها بلون الزهر ، جالسة تكتب وترسم ،
راح فكرها وعقلها لشخص ..
هزت رأسها ونهضت محاولة التخلص من افكارها ، لكن صورة ذلك الشخص عادت وتكررت ، كانت تكره ذلك الشخص بل

تقرف منه
انه زوج رمح !
التقته اكثر من مرة عندما كانت تزور صديقتها ، وكانت غير مطمئنة لتصرفاته معها ، لسلامه وضغطه على يدها ، ونظرته كأنه يبتلعها جزءاً جزءاً بتلك العيون الضيقة المزعجة ، وتلاحظ فيهما نظرة تكرهها انه يشتهيها ويريدها هذا ما شعرت به وما خافت منه ، وهذا السبب الحقيقي لبعدها عن صديقتها !
في هذه اللحظة وهي غارقة بهذا التفكير بدت على ملامح وجهها التقزز والغضب والقرف حتى شعرت انها تكره نفسها ، اتصلت رمح بها ، الهاتف امامها يشير الى اسم صديقتها كما تكتبه هي نصفي الاخر ،
هل تجيب ؟
لا انها ستكشفها من صوتها ، هي لن تستطيع ان تكذب او تخبأ قلقها .
لكنها لا تستطيع ان لا ترد ، لن توافق رمح على اي عذر لعدم الرد،
في الجهة الاخرى رمح متوترة ، تشعر ان زوجها يخبأ شيء ما ، وهي شعرت بنظراته لصديقتها ، واحست بكلماته المتلهفة عندما يحدثها عنها او تحدثه عنها !
هي تشعر بأنها مذنبة الان عندما تتصل بصديقتها ،
فهي لا تثق بزوجها وبما اخبرها ، طلب منها ان تتصل بنار لتسألها لماذا لم تتزوج الى الان؟
هل السبب انها ترفض الزواج او ان احداً لم يتقدم لها ، ثم اذا كان الامر كما في الاختيار الثاني ، فهو لديه عريس جيد لها.
شعرت بأنها تفعل شيء خطأ ليس صحيحاً ان تكلم نار بذلك
ثم انها تعرف جيداً لماذا لم تتزوج الى الان ، لأن تفكيرها وطموحها يختلف ، لكن فعلت كما امرها واتصلت بها ، فلا تريد ان تضايق زوجها ولعل ما يريده صحيح ونيته صادقة ، رغم

انها متأكدة ان هذا الاعتقاد خطأ، لكنها عملية كما قلنا ويجب ان تخضع كل شيء لتفكيرها حتى لا تنهار .
نعم تم قبول الاتصال هي معها الان
تحييها بحب حتى تشع عينيها بالقوة لان صديقتها وسندها تتكلم معها ، كأنها تحميها وتخلصها من افكارها ، ثم يشتت هذه الحالة زوجها يقف امامها ويفعل حركة بعينيه وحاجبه لكي تتكلم مع نار في الموضوع الذي طلب منها الحديث عنه ، تستسلم ببرود وانزعاج وتغمض عينيها علامة على الموافقة وكذلك على التعب ، تسأل
-لماذا لا تتزوجين ؟
لماذا ترفضين كل العروض واحد تلو الاخر ؟
تنتبه نار لتغير صوت صديقتها وارتباكها فهي تشعر بها جيداً ، تجيب وقلبها بدأ يؤلمها من كل ما يحدث
-لأني من النوع الذي يحب
يحب جداً ويزداد حبي مع الايام ، انا لا يفتر حبي بطول العلاقة ابداً بل يزداد ،
اصبح احب حتى غضبه ، احب كل ما يحب، افكاره المرتبكة ، فراغات اسنانه المفقودة عشت معه ايامه ورأيته عندما فقدها، احب شعره الابيض كما احببته عندما كان بلونه الشاب ، سأحبه مع تقدم عمره ، لستُ من النوع الذي يكره بل يزداد حبي عندما يصبح كائن طفولي متعب ، مزعج الطلبات ، قاسي الطباع ،
ثم اني اغار ،
اغار حد الاختناق ، اتعذب في الغيرة ، انا اغار من نفسي على من احب ، فكيف اتقبل اي علاقة له مهما كانت طبيعية ؟
كيف اهدأ واكون على ما يرام ؟
ثم ان غيرتي تصبح خوف ،
اخاف عليه واريد ان احتفظ به ، واشعر انه يحبني انا فقط ،

كذلك انا طفولية في امر الخيانة ، لا اتقبلها ابداً وجميع الرجال خائنين اذا لم يخن بالجسد فـ بالعين ، بالفكر وانا لا اتقبل هذا والكارثة اني اشعر بكل شيء ، حتى لو لم يخبرني او اكتشف الحالة عملياً سأعرف بإحساسي ،
والحل الوحيد الذي املكه للخيانة ليس حل امرأة عاقلة تفكر في بيتها ، فأنا لا اسامح ولستُ مستعدة ان اكذب واقول سامحت وانا احترق من داخلي ، ولستُ من النوع الذي يصمت ويحاول ان يتقبل كل ما يحدث ،
انا انسحب اغادر فوراً واترك كل شيء،
ولكن ما سيحصل لو كان لدينا اطفال ، اتقبل ان اتعذب انا واتجرع سم الخيانة لكن ما ذنب الاطفال وما مصيرهم في عائلة مفككة ؟
لذلك انا محال ان اتزوج .
ثم صمتت
نست امر زوج صديقتها وكل الموضوع واحست انها منذ زمن لم تكلم صديقتها كما الان ، هي تشعر بالراحة التي كانت تحسها عندما تواجهها مشاكل وتذهب مباشرةً لها وتحدثها ويستمر الحديث ساعات حتى يجدن حل مناسب ، ثم يفرحن ببعض ،
كذلك كانت رمح تشعر بنفس الشيء وهي تستمع نست كل ما حولها وسلمت روحها لصديقتها
اصبحت تستمع لها تشعر بكل حرف كأنها داخل صديقتها وترى نبضات قلبها تُعبر وتنطق وليس لسانها او فمها .
استمر الحديث وشعرت بالراحة لان زوجها خرج عندما سمع طرق الباب ،
حاولتا الصديقتين ان يُكذبا احساسهن بشأن ذلك الرجل ويقتنعن ان الامر ليس كما يبدو ، ظلتا فترة على هذا الحال يحاولن ان لا يصدقن قلوبهن او حتى عقلهن الذي اتفق مع القلب على نفس الفكرة .

لكن الواقع سيثبت الاحساس ويصدقه مع الدلائل والاثبات ، في ذلك اليوم عاد زوج رمح من العمل وفي عينيه الغضب كأنه يريد قتل شخص ما ، واصبح يختلق المشاكل من كل شيء حتى جلس بقرب رمح وهو يحاول ان تخرج ابتسامة من شفتيه الرفيعتين ، وقال

- نار لم تزرنا منذ زمن يا رمح ، اعتقد انها من شهر لم تفعل ذلك

اجابت وهي تنظر لزوجها بألم وعتب وحزن

- لا هي كانت امس معي في بيت عائلتي عندما ذهبت الى هناك نحن لا نفترق نكاد نلتقي كل يوم،

ثم اكملت بصوت قوي وبصورة جدية

هي صديقتي .. بل انها اختي افهم هذا الشيء

ثم لتخفف حدتها قالت

اقصد انني انا وهي تربينا معاً وعشنا كل دقائق عمرنا مع بعض.

فقال بصيغة الامر وهو ينهض

-حسناً غداً يوم عطلة ادعيها لنقضي اليوم مع بعض .

ولكي لا يترك اي مجال للرد غادر الغرفة

عاد اليها احساسها السابق ، واصبحت الافكار ترميها كأنها في قارب وسط البحر والامواج تقذفه الى حيث تريد ، ثم هذه الافكار لم تعد امواج بل اصبحت سكاكين تمزقها ، وحبال تخنقها ، انها في سجن ، يجب ان تتحرر ولتتحرر يجب ان تكتشف حقيقة الامر ، ولتكشفه عليها ان تنفذ ما قال زوجها لترى افعاله غداً ، وماذا يخطط،

لكنها ليست بالفكرة الصائبة ان تجعل صديقتها محل تجارب من اجل شخص تعرفت عليه منذ فترة قليلة، هي لا تحتمل ان تصاب نار بأي اذى وما تفعله سيؤذي مشاعر صديقتها ان اكتشفت فعلتها وقد تخسرها طول العمر، لكن لو نار عرفت بالموضوع

لساعدتها وتقبلت كل شيء من اجلها
لكنها لا تستطيع ان تخبرها ، الامر يحرجها بل يجرحها ، هي تتكلم مع نار على كل شيء ، لكن هذا يؤذي صديقتها ايضاً وهي لا تريد ذلك ،
ماذا تفعل الان ؟
امسكت بكلتا يديها رأسها واصابعها ترتجف وعيونها في ثورة دموع !
انها لا تستطيع ان تقاوم كل تلك الافكار،
كانت العادة اذا شعرت بشيء ذهبت لصديقتها فتخفف عنها كل ما يحدث ويمضي الامر في النهاية نحو الضحك، لكن الان صديقتها هي المشكلة وليس لها غيرها،
تاهت بأفكارها ،فجأة مسحت عينيها بيديها بقوة كأنها تضرب او تعاقب نفسها ، ثم حملت الهاتف بسرعة كأنها لا تريد ان تعود لأفكارها او تراجع نفسها مرة اخرى وتضيع ..
تحدثتا لوقت قصير على غير العادة قبلت نار دعوة صديقتها الملحة ، شعرت ان رمح ليست على ما يرام وشيء اصابها ، وافقت من اجل إنقاذها ، قبلت كأنها فهمت كل ما تحدثت به صديقتها مع نفسها قبل ان تتصل بها وتكلمها.
حضرت نار صباحاً لكي تقضي وقتاً مع صديقتها وتساعدها في اعداد الغداء وتفهم منها ولو القليل عن الامر ، لم تكن تعلم انها ستجد زوج صديقتها ، كانت تظن انه سيأتي فقط على الغداء لا ان يبقى معهن ،
لاح بعينيها الاندهاش حين فتح الباب ، لكنها ابتسمت ببراءة وحيته بصوتها ولم تمد يدها له ،
دخلت وهي تشعر ان نظرته تخترق جسدها كالسهم وتمزقه كأنها خنجر ،
كانت رمح في المطبخ اسرعت لفتح الباب لأنها تعرف ان نار القادمة ، لكنها وجدت زوجها قد فتح الباب ، كانت مرتبكة

تنظر لزوجها الغارق في النظر الى صديقتها ، ينظر لها بصورة لا تنم عن حب او اعجاب كانت نظرة شهوانية حيوانية ، انتبهت نار لصديقتها واربكها انها لم تنتبه لها او تتقدم لتحييها ، تقدمت هي منها وقبلتها ، انتبهت رمح حينها لقبلة صديقتها على وجنتها ابتسمت بفتور ، لكن نار اقتربت منها اكثر وضمتها اليها كأنها تدعمها وتربت على كتفها، احست بذلك رمح شعرت بأنها تأخذ الطاقة اللازمة من صديقتها لاح في عينيها شيء من الدموع التي لم تخرج ،

امسكت نار بيد صديقتها واخذتها للمطبخ ، كانت نار طوال وقت تحضير الطعام تنظر لعيني صديقتها وتقارنه بالحديث الذي يخرج من فمها ، هي لم تكن تشعر بما تقول !

فقط تقضي الوقت بالحديث المرتبك السريع ، كأنها تحاول انجاز مهمة ما و بأسرع وقت حتى تنتهي و تتنفس فهي كل ثانية تختنق الى ان تفهم حقيقة ما يحدث.

كان زوجها بين فترة واخرى يأتي الى المطبخ ويتصنع محاولة المساعدة او يحاول ان يأخذ شيء من المطبخ اي شيء المهم انه يبقى بقرب المكان الذي تتواجد به نار ويمسها بجسده قاصداً ، وبتصنع يقول ان المكان ضيق ، لاحظت رمح ذلك وبدأت تسجل النقاط

هذه الحالة لم تكن من عادته فهو لا يدخل المطبخ ، انه لا يفعل شيء بيده حتى يأخذ اشياء من هنا، وكلما زادت الافعال التي يصنعها زوجها احست بخطر اكثر وكثرت النقاط التي تدين زوجها.

تم تحضير الغداء جلس الثلاثة على كراسي متفرقة حول طاولة صغيرة مربعة هو في رأس الطاولة ورمح على يمينه ونار على شماله ، لكنها بعد لحظات شعرت انها الاخرى تختنق ، لذلك تصنعت وقوع قدح الماء على الكرسي وايضاً سقط الماء على ثوبها لم تكن الكمية على الكرسي كما على الثوب لكنها ستتحمل

هذه الدقائق، اخذت صحنها وجلست بجانب رمح وتختبأ خلف رمح محاولة ان لا تفلت نظرة من زوج رمح اليها ، التهمتا الصديقتان الغداء كأنهن يمضغن الجمر !
لكن زوج رمح كان يتناول الطعام بلذة حتى يكاد فمه يقبل اللقمة انتهى الغداء المزعج
نظفت الصديقتين الطاولة و هن ينظفن الصحون في المطبخ والماء يجري صوته مع الاسفنج الذي تستخدمه لغسل الصحون الوحيد المسموع
كانتا غارقتين في الصمت والافكار ، ثم كُسر الصمت ،قالت نار بسرعة لصديقتها
-انا سأذهب لديّ مع امي موعد عند الطبيب
لم تنظر لصديقتها وهي تقول كأنها تهرب من عينيها حتى لا تكشفها لأنها تكذب ، ليس لوالدتها اي موعد مع اي طبيب .
نظرت لها رمح ووجهها حزين تائه ، بلا لون ، وقالت بصوت متعب كأنه لعجوز في الثمانين من عمرها تلتقط اخر انفاسها
-حسناً اذهبي.. ثم اضافت مع ابتسامة جرحت قلبها لترسمها على وجهها ،
-طمنيني على خالتي
تركت نار قطعة القماش التي كانت بيدها لتنشف الاطباق، قبلت وجنة صديقتها من غير اي كلام لم تستطع النطق ، لا طاقة لديها لتقل حرف واحد.
ووصلت الى الباب تسحب قدميها بكل ما تبقى لها من قوة ، لكن يد حارة امسكت ذراعها بقوة غرست اصابعها في جلدها ، نطق صاحب اليد بصوت قوي
-اين انتِ ذاهبة
خرجت رمح حال سماعها الصوت ، خرجت كأنها كانت تنتظر قنبلة تنفجر .. وانفجرت ..
ثم اضاف الزوج ليخفي قوة صوته

-لن تخرجي قبل ان تشربي معي عصيراً ، فأنا صنعته لكِ ، ثم التفت إلى زوجته وقال
-صنعته لثلاثتنا واكمل وهو ينظر لزوجته وموجهاً الكلام لها ،
-انتِ تعلمين اني اصنع افضل عصير
لم يتركها تجيب ، هو يدرك انها تعلم انه لم يصنع يوماً اي عصير وقال لنار!
-تعالي اجلسي ومد يده ليمسك بها لكنها لم تتركه يفعل ذلك وكورت جسدها كأنها تحاول ان تحمي نفسها ، ليتها تستطيع ان تختفي الان ، جلست على كرسي وحيد تركت الأريكة المجاورة للكرسي كي لا يجلس بقربها شخص!
ذهب لغرفته تبعته زوجته من غير ان يعلم نظرت من فتحة موضع مفتاح الباب
نار تلاحظ وترى وهي غير مندهشة لأنها تشعر بما تحس صديقتها بالضبط
لكن فجأة دخلت رمح الغرفة وسمعت نار صوتاً عالياً لكلمة واحدة لم تفهمها ما هي ؟
ثم عاد الزوج لوحده من غير رمح ،نهضت نار و الصدمة على وجهها
تراجعت وهو يتقدم باتجاهها ، لم تستطع ان تخفي ارتباكها ، فقال وهو يبتسم بخبث
-ما بكِ ؟
اجلسي.
لكنها واقفة تنظر للغرفة منتظرة ان تخرج صديقتها ، سمعت صوتا عال من قبل ، اخترق الخوف جسدها اعضائها ترتجف ، ظنت ان صديقتها اغمى عليها او ماتت ، اكيد ان هذا الحيوان ضربها،
ارادت ان تتجه نحو الباب وتخرج من البيت ، لكنها لا تعلم ما حدث لصديقتها ، وهي تركض باتجاه الباب ، حولت طريقها

للغرفة ، فتحت الباب ورأت..
رمح غير موجودة في الغرفة ، لكن بعد ثواني وجدتها على الارض ،
جالسة بالقرب من السرير عينيها لا تنظر لمكان معين ولا تلاحظ شيء تبكي بقوة من غير ان تشعر انها تبكي فقط دموع تنزل بتدفق سريع واستمرار..
تقدم زوج رمح مسك نار من يدها أفلتت يده بكل قوتها وضربته من غير ان تعلم اين تضرب ولا كيف ، بتصرف غير مخطط له ترى دموع صديقتها وتضربه بيديها الصغيرتين على رأسه وجسده وهو يحاول تجنب الامر أوقفها بقوته الجسدية التي تعادل ضعف قوتها ، ضربها على وجهها صدمت رأسها بالباب ، كل هذا يحدث ورمح جالسة لا تنظر لهم ولا تفعل شيء،
صرخت نار
رمح انهضي انتبهي ، هيا ساعديني
اقسم عليكِ بحبكِ لي
وقفت رمح كأنها تعرضت لصدمة ، هرعت تحتضن صديقتها تضمها إليها،
أصبح الزوج يضرب الاثنين بلا رحمة ، والصديقتين لا يفعلن غير ضم بعضهما،
هناك طرق قوي على الباب ، يعلوا الصوت حتى وصل اخو نار والجيران
الاحداث وصوت طرق الباب من قبل اخو نار نبه الجيران وتجمعوا عند الباب حتى فتحوه وخلصوا الصديقتين من قبضة المتوحش فهرب..
كانت نار قد بعثت رسالة لأخيها عندما امسكها زوج رمح ولم يتركها تذهب متعذراً بالعصير الذي يصنعه ، هي من قبل نبهت اخيها وحدثته عن احساسها واخبرته
-اذا بعثت لك رسالة تأتي بسرعة

في مركز الشرطة
تم تسجيل دعوة على زوج رمح لكي تبحث الشرطة عنه ويتم القبض عليه
سأل الضابط نار ان كانت تتهم صديقتها بمشاركة زوجها في الحادثة
اجابته
- لا بل انها معتدى عليها اكثر مني ، ثم انها نبهتني ولم تستغلني !
- كيف حذرتكِ ؟
حسب الاقوال انها لم تقل لكِ شيئاً ، غير انها دعتكِ لمنزلها
-حدثتني عينيها يا حضرة الضابط
نبهتني عينيها ، رجفة أصابعها ، نبرة صوتها
تسريحة شعرها
كانت تكره ان تترك شعرها مسدول ولون فستانها كذلك
هي تكره الأصفر وفعلت في ذلك اليوم كل ما تكره أتفهم ذلك؟!

حمزة

كان يستخدم الفرشاة بقوة ، عينيه تتجه نحو اللوحة تخترقها
يعيش بصمت، يضع قبعة سوداء تغطي رأسه كاملاً ونصف وجهه
هو يحاول ان يجعلها سلاحاً للاختباء ، اما انا
وقفت امامه بجرأة اسرق النظر لأرى عينيه
رأيتهما ..
عيون سوداء ضيقة حزينة ، جريئة ، واثقة
انا التي تخاف كل شيء اقف الان امام رجل مستعدة لأن اقول ما لم اقله يوماً
وانظر بطريقة لم اجربها خوفاً
اشعر اني متحررة من كل قيود الكون فقط لأني اريد ان اعرف هذا الشخص
جذبتني اعماله المتجمعة بقربه
الاقلام ، الريش ، الحبر ، الالوان ، المكياج ، الاوراق ، اللوحات
لوحات رسم واخرى خط وكذلك نحت
فنان متنوع ..
فوضى المكان تشبه فوضى قلبه انا متأكدة من ذلك
ما الذي يحصل لو كسرت حاجز كبريائي وسألته ، لن اموت مبكراً قبل يومي ولن اندم اكثر من ندمي على اشياء تافهة
-حسناً ما اسمك
يبدو اني قلت ما كنت اخطط له بصوت عال وجريء
من غير ان يرفع عينيه اجاب
-حمزة
هل حمزة مغرور ، او انه مكتفي من الحياة حتى لا يلتفت لصوت يسأله ؟!

استمريت بالنظر له واكتشاف اعماله
اليوم الجمعة الساعة الرابعة عصراً ، مكان لتجمع الفنانين
اقترب شخص قال لي بسخرية
- حمزة لن يغادر هذا المكان ولا العالم لما تنظرين له هكذا؟
لم اجب وغادر هو
اذاً حمزة لا يغادر هذا المكان اتخذ مكتباً له هنا
في زاوية من المعرض ، مكتب خشبي ، مملوء لا تستطيع اضافة شيء على سطحه .
ما زال فضولي يدفعني لأعرف هذا الشخص،
هل رسمه جذبني ؟
او السواد الذي يرتديه ، قبعة سوداء ملابس سوداء ، ساعة سوداء كبيرة تحيط معصم صغير ، سجائر في كل مكان وبقاياها كذلك ،
اعتقد انه لا يدرك عظمة ما يفعل ، هو فنان حقاً فنان بكل ما تحوي الكلمة من معنى ، اشعر ان روحه خلقت من الفن، يسري بها ابداع بدل الدم ويسير بكل جنون
- تكلم يا حمزة
قلت له هذه الجملة وانا انحني لأصوب كلامي باتجاه عينيه
واخيراً اهتم حمزة للأمر ، ابعد بطرف ابهامه قبعته قليلاً
وكأن كلانا يعرف الاخر منذ زمن ، وكذلك كأننا لا نعرف بعض لأننا واقعاً لا نعرف بعض
اما الحقيقة هناك شيء مربك جعلني التفت له واريد ان اسمعه ان تتحدث مع شخصية تشبه الاحلام وتعيش الواقع هكذا الامر بالضبط !
انا ارى اني اعرف الروح التي تسكن هذا الجسد، رغم اني لم التقه الا تواً
رفيق الروح..
انا اؤمن ان هناك شخص في مكان ما فيه منك ، يشبهك وان

اختلفتما ، خلقت منه وخلق منك
اي انكما تنبعان من روح واحدة ولو تقسمت لشخصين بمظهرين مختلفين!
اصرار حمزة وتعمقه بالأشياء وخلقه الجمال من العدم جذبني
يصنع اللوحات من نار ومن شعر ومن حليب ومن سكر او ملح و(بهارات) تخرج اللوحة منكهة هكذا !
كذلك بيض وقشوره ومعكرونة وطماطم وخيار
يا الهي انه يصنع من كل شيء .. شيء اخر
ما عرفته عن حمزة فيما بعد انه مستعد لقضاء يوم كامل يبحث ويطور فكرة في الفن
يتمنى اختراع شيء رغم انه مخترع
لكن ما زال يتمنى ان يبدع اكثر
لكن هذا الصبر والفن من اين اتى
حمزة الان في الثالثة والثلاثين من العمر
بدأ يرسم وهو طفل في السادسة او اقل
عندما سألته ورفع قبعته قليلاً قال لي
- من انتِ
ثم تابع لا لما اسأل وما يهم لتكوني اي كان
جرحني كلامه وشعرت بقلبي يتوجع وكبريائي يطالبني بحقه
انا التي لا تتكلم مع شخص ولا تسمح لكائن ان يمس اسمها
ولا تصرف طاقة على البشر حتى لا يصيبها اذى منهم اليوم يقال لها هكذا ، من قبل شخص ضائع !
لستُ من النوع الذي يأخذ حقه بالكلام او الرد بوقاحة
انا انسانة خائفة وطالما كنت كذلك
لم اجد الا الدموع تنزل ، حسناً ليس وقتك اريد ان ابدو شجاعة لكن الامر اختلف ..
التفت حمزة لي ولأول مرة ينظر بشكل كامل وباهتمام
بدا عليه الارتباك جذبته فجأة وصلت قلبه واتضح بعينيه لون

غير الجماد المظهري البادي عليه
قال وكأنه يعاقب نفسه
- لما تبكين الان ،ما الشيء الجيد في البكاء ؟
هو لا ينفع صدقيني ، يؤلم فقط ولا ينتج اي حلول
قبلك بكيت كثيراً ولم يسعفني الدمع بنتيجة سوى انه زادني بؤساً
قلت له و وصوتي تقطعه الدموع
- وهل انت الان بكامل عقلك وروحك ، انت بائس كذلك ؟
ربما افضل لو بكيت بدل ان تقنع نفسك انك بطل
ابتسم بوجع وقال
-انا كنت جيد وعاقل جداً
او ربما لم اكن عاقل تماماً
ضحك قليلاً ونظر لي بعطف
استرسل كلامه
التقيتها يوم لا اذكره ..
لا بل اذكره جيداً لن اكذب على نفسي
قرب شجره اخذ الخريف اوراقها ،واكمل الشتاء تعصبه عليها ، واقفة هي ترتدي معطف بني اللون غامق
ممسكة بورقة يابسة تقطع بها لا اعلم ما الذنب الذي اقترفته ؟
مررت انا اوقفتني ، سألتني عن مكان
وكم ساعة يبعد من هنا
اخبرتها ساعة قالت بشرود
- اه علمت بذلك فقد تأخر
كنت قد بدأت انجذب لحمزة وحديثه ، ليس حديث اللسان بل تلك العيون السود وما تنطق ،ولكل كلمة عبرة وربما دمعة غامقة لا تبينها العيون القوية
اخذ يمشي ويسرد ثم وقف في احد الزوايا ونظر لي
وكأنه لا ينظر لبشر لم تنجرح عينيه اكتشفت لحظتها ان حمزة

بعيد عن العالم ، لا يراه كما نراه ، انه في عالم اخر ولكي يعود لعالمنا يجب ان يستيقظ من الوهم الذي يعيشه ومن الحلم الذي يبحث عنه بعد رحيله ،وما رسالتي معه الا لكي اعيده لنا لكي يتنفس من جديد الهواء لا غبار الذكريات .

احب حمزة هذه الفتاة التي التقاها اصبحا صديقين بعد ايام اكتشف انها تحب شخص اخر القصة طبيعية وعادية لكن حب حمزة لم يكن عادياً هو شخص يتعمق بالأشياء وان خسرها خسر نفسه معها

هذا النوع من الاشخاص لا يحب بسهولة واذا احب يؤمن بمحبوبه والايمان صعب قتله او التخلص منه انه امر روحي..

عندما عرف بحبها لغيره اهداها وردة امسكت يده واخبرته ان فرحها بعد ايام ودعته للحضور

حضر حمزة ولم يحضر ، لأنه حضر بجسد وغادر بروحه ، كان بعيداً عن اجواء الفرح غادر الحفل من اوله ، منذ ذلك الوقت وروح حمزة لا تسكن جسده كما يجب ، اينما يتواجد يتحدث معك بلسانه ومظهره جسد فقط بلا روح.

بدأت مهمتي الان اشعر بأني يجب ان اعيد هذه الروح لهذا الجسد، لكن لما اتدخل بين جسد وروح؟

واعلم اني لا اجد من هذا الشيء الا المرار من الاخرين ، لكن لا يهم سأساعده .

كل يوم اتردد على مكانه واحدثه بكثير من الأمور التي لا يلتفت لها ، قبل ايام رأيت ابتسامته ، كان موضوع طرحته عليه وناقشته وكالعادة وحدي اسأل واجيب ،

اخبرته تخيل سمعت صوتك !

نظر لي بدهشة وقال:

- متى

- الان هذه اللحظة عندما قلت متى

يا بني يشهد فاك انه فرح عندما نطق ، حرمت لسانك من

الحركة ، سيعمل مظاهرة عليك.
لحظتها ابتسم وفرحت انا جداً
سألته لما ضحكت؟
قال اعجبتني يا بني
-كل هذا الكلام لم تلتفت الا لهذه الكلمة؟!
ترى ماذا اريد منه ولما افرح بقربه؟
لا اريد شيء سوى سعادته
استمريت بالذهاب له ولقاءه لم انقطع يوما منذ ثلاث شهور ، اليوم بينما اتحدث كالعادة قاطعني سائلاً
-ماذا لو احببتني ؟
اجبته ببرود
- لن احبك لا تخف ، لا املك اي احساس بالحب اتجاه اي شيء
- تعتقدين ذلك ، انتِ عبارة عن حب.
ابتسمت لكلامه بخجل ثم اضاف
-ماذا لو انا احببتكِ؟
صدمتني جملته رغم هذا اجبت
- لن اغفر لك اذا فعلت
-وهل تعتقدين عندما نحب نستأذن او ننتظر الغفران
- انا احذرك لا تفعل
كنا صريحين بكلامنا اعجبني اننا نشعر بحرية كبيرة مع بعض ، نقول كل شيء بلا توقف ، كل شيء يخطر على بالنا وجميع الاسئلة التي ينطقها القلب.
اشعر ان روح حمزة عادت له لذلك قررت ان لا اتردد كثيراً الى هنا تمت مساعدتي له ، انقطعت يومين وقلت ازوره في اليوم الثالث وهكذا سأفعل دائماً ،
لكنه ارسل لي رسالة يقول فيها
- الامر غريب بدأت اتنفس جيداً اشعر اني ارى الورد الذي لم اهتم له منذ زمن .

انتِ مختلفة ، تشبهيني ولا تشبهيني ، تشبهي كل ما في داخلي ولا تشبهي ما اظهره ، انتِ تحرريني ، اشعر بشجاعة قربك ، تقولين كلما تريدين بلا تردد ، دائماً واثقة بأيمانك بالله بقوتك ، انتِ شيء غريب ، ربما ملاك من السماء !
لكن ما زلت اعتقد ان هناك شيء يربطني بك
انتِ من اقترب اولاً ومن ساعد وهذه القوة لا اتحلى بها انا ، هل تعتقدين اننا اصدقاء؟
لا تبتعدي كوني قريبة هل فهمتي ؟
اجبت مركزة على كلمة واحدة وهي الصداقة وتركت كل ما قال
- لا اعتقد اني صديقة لأي شخص ، الصداقة تختلف عندي ، الصديق يجب ان يكون جزء من روحنا ، يجب ان يكون سنداً ، يجب ان يشعر بحزننا ، يمسح الدمعة قبل سقوطها ، نحن لا نطلب من الاصدقاء ان يفعلوا هم يساعدونا من غير قول ، اذا اردت ان تعتبرني صديقة لك ذلك ، لكن انا لا اعتبر اي كائن صديق..
ترى هل كنت قاسية معه ؟
لكن هذا ما يجب ان اقوله ، لأني اريد قوله.
ذهبت للقائه اليوم
نظرت له وهو يرسم انا اقف خلفه بقيت ادقق في يده وهي ترسم بقوة اشعر ان شراييه التي ترسم ،
قال
- الى متى ستبقين واقفة هناك
-كيف رأيتني؟
-احسست لا يجب ان ارى ، انا اشعر بكِ ، عطرك ، ارتباكك ، وحتى قوتك الظاهرة .
- ارتباك وقوة !
- قوة الخارج وخوف وارتباك الداخل
- كان عليك ان تكون محللاً نفسياً بدل الرسام لو صدقت،

صمتت ثانية ثم قلت له
- ماذا قررت
الغريب انه فهم مقصد سؤالي كأننا نتواصل روحياً
- قررت ان اكون صديقك سواء وافقتِ او لا
ثم اكمل
لن اتوقف عند هذا الطموح سأكون كل شيء لكِ
ألم تكتبي يوماً
ان الزوج يجب ان يكون اخاً وصديقاً ومن ثم حبيباً
اخاً بمعنى سند عظيم لا تخافيه يكون قريبا دائماً
وصديقاً تحكي له كل شيء بلا تردد كأنه روحك
ومن ثم حبيباً يغار عليكِ يدللك
وبعدها يجمع كل هذه الصفات فـ يكون زوجاً.
ثم ابتسم وعاد يرسم لوحته
كانت غريبة جمع فيها الليل والنهار والشمس والقمر وغير الالوان جعلهما يتبادلان المظهر ،
وفي الوسط حقل كبير اخضر واصفر ، وهناك شاب وفتاة ، شاب بقبعة بنية اللون في جهة الحقل الاصفر وفتاة بفستان زهري في جهة الحقل الاخضر ، لا يوجد فاصل بين الحقلين رغم اختلافهما وعند حدودهم التقى الشابين ، عندما اكمل حديثه معي التفت للوحته وجعل الفتى يمد يده للفتاة .

مجتمع اصفر

يقول الطبيب انها تماثلت للشفاء بنسبة كبيرة وهي داخل المصحة
لكن عندما خرجت الى المجتمع فقدت نسبة كبيرة من شفائها
امي تحدث احدى النساء
تنظر لي تلك المرأة بعطف يتبعه خوف
تضع طفلتها بحضنها تغير ملابسها تبكي
اشعر بتوتر غريب
الطفلة تبكي من عينيها ومن انفها
وجهها كل ما اراه وصوتها كل ما اسمع
انظر للأرض واصرخ توقفي
توقفي عن البكاء
تمسك امي يدي ونخرج من المكان
التفت للمرأة التي ما زالت تبحلق بي اصرخ بها قائلة
-توقفن عن انجاب الفتيات
اشبك اصابع يدي ببعضهما وامشي بفخر انا ولد
لكن لما الفخر ما زلت انثى ؟!
بعد اثنا عشر عملية فاشلة ما زلت انثى
انثى بأعضاء الانثى القبيحة
كيف تتحمل النساء انفسهن؟
انهن مرض
وانا يجب ان لا ابقى مرض ، كل الاحترام في هذا المجتمع للذكر!
امشي وامي
نساء في الشارع كثيرات بشعر او حجاب
تافهات بشعات انا اكرههن
قلت للطبيب ذلك سابقاً

قال
-لا تكرهيهن لأنك مثلهن
-لا انا لا ..
انقطع حديثي مع الطبيب
ارى فتاة امامي في الشارع ، لا انها ولد !
لا بل فتاة بمظهر رجل ، او رجل متنكر كـ فتاة .
شعر نسائي طويل وملابس رجال
جزء من الشعر مقصوص والجزء الاخر طويل
انها جميلة .. لا بل قبيحة
انها انا !
هذه مرآة
انا ايضاً انثى !
يا الهي لما خلقتني انثى
اكرههن انهن بشعات يتحملن كل شيء
اتذكر اني قصصت شعري لكن امي اكتشفت الامر قبل ان اكمله.
اذاً انا لم اعمل اي عملية!
كنت في المصحة لكن ما زلت انثى ، امي كذبت عليّ.
عندما يعطوني حقنة تخدير لتهدئني وليس لأجراء العملية
يا للبشاعة ما زلت انثى تافهة
انثى عليها ان تربي هذا المجتمع وتتحمل كل شيء وفي النهاية يتم لعنها وضربها .
سأهرب .. امي تصرخ بإسمي
التفت لأراها تركض بصعوبة وتبكي
عيونها تبكي انها تتألم من اجلي
يوجعني دمع امي
لا لن اتراجع انها ايضاً انثى مستسلمة ضعيفة
ما يمجده المجتمع جميل حتى لو كان قبيحا

وما يقلل من شأنه بشع ولو كان جميل
اقف وعلى جانبي رجلين قبيحين المنظر ، لكن يجب ان اراهم جميلين لان المجتمع يجعلهم هكذا ، دائماً يصفق لهم ولو فعلوا اقبح الافعال لا يحاسبهم
لذلك انا ارى الاناث قبيحات رغم جمال مظهرهن وقلوبهن الرائع
يصرخون بي ويضربوني
اذاً تصرفاتهم قبيحة كـ منظرهم
اما الاناث فأصواتهن رائعة رغم هذا يراهن المجتمع قبيحات
لا اعلم ما يريدون ، اقتربوا ، ضربوني اكثر ، قاومتهم
لا ادرك ما حدث بعد ذلك
وجدت نفسي في مكان مبني من بقايا الحديد والطين
الرجلان موجدان بالخارج مع خمس اطفال تتراوح اعمارهم بين التاسعة والرابعة عشر
عشت معهم لانهم لم يدعوني اذهب
كلما ارادوا الاقتراب مني وبدافع تأثير الادوية والعلاج السابق على عصبي
كان يغمى عليّ بعد المقاومة والخوف من اقترابهم
بعد فترة مرضت استفرغ كثيراً وحرارتي مرتفعة
سمعتهم يتحدثون قال احدهم للأخر
ربما تكون حامل
اخذت اردد كالمجنونة كلمة حامل
ستأتي فتاة لهذه الدنيا؟
بينما كانوا بالخارج يتحدثون ، صرت ابحث وادور في المكان واخيراً وجدت
سكينة .
جرحت يدي وكتبت على الحائط
انصفوهن هن ارواح لسن جماد لتضربوهن

في تلك اللحظة دخل احدهم مررت السكينة على رقبتها وانتهت في سجلات الشرطة وجدت هذه القصة
من القصص المتحفظ عليها
تحدثت مع امها قالت:
-انها كانت تشبه اي فتاة ، الى ان بلغت الرابعة عشر ادركت حجم معاناة المرأة وكيف يعاملها المجتمع
بدأت تسأل واجيبها بكل صراحة .
اما الشاب الذي اعتبرها زوجته كما يقول
لأنه الوحيد الذي تقرب منها قال لي:
انها كانت ذكية وجميلة جداً ، تنتبه لكل شيء ولا تنسى اذا بحثت عن شيء ما تدلني عليه وتفرح بالاكتشافات كأنها طفل.

لا اعلم ان كانت ستحاسبني لأني كتبت القصة بلسانها وان كانت تكره النساء الى الان؟

نجمتي المشرقة

الجميع يعرف القمر ويعرف تلك النجمة القريبة منه ، ليست بجانبه تماما هي بعيدة رغم قربها، هي الاقرب له بين النجوم لكم قصتها ..

في احد الايام وبينما كانت الشمس تتجه نحو الغروب حتى اختفت ، ظهرت على جانب من السماء

نجمة هادئة ضوئها بسيط ، في ذلك الوقت كان القمر قد وضح نوره وظهوره واعلن الليل سدوله

بينما هي في جانب مختلف من السماء بعيده عن القمر لم تره لكنها لمحت ضوء ، ارادت ان تعرف مصدره وترى هذا الضوء اكثر ، رأت جانبا من القمر ، حاولت ان تقترب اكثر لكنها لم تستطع التحرك ولأنها بطيئة جداً في الحركة ، سألت عنه جارتها النجمة

- من هذا ؟

-انه القمر صاحب هذا الضوء هو من يعكسه لينير الارض وكل شيء

قررت ان تراه اكثر وتقترب منه

توسلت الغيوم ان تنقلها لكن الغيوم لم تسمع لها ولا لندائها ، توسلت اكثر مما ادهش النجمات صديقاتها لأن تلك النجمة كانت عنيدة وكبريائها لا يكسر ،

اذاً لماذا تتوسل الغيوم من اجل قمر؟!

ماذا فعل بها ؟

استغلت الغيوم الفرصة وارادوا ان يجرحوا نجمتنا ، لكنها رفضت الاستسلام لهم وبينما يريدون قول شروطهم تحركت! بهذا الفعل صدمت الجميع لكنها تحركت ببطء شديد حيث كان من الصعوبة قطعها لمسافة ولو كانت قصيرة ، لم تتوقف

تحركت مرة اخرى لكنها فقدت الكثير من طاقتها اخذت فترة استراحة وهي متعبة مرهقة رأت القمر حيث اصبح واضحاً ضوئه غازل عينيها المتعبة رفعت رأسها ولم تتوقف عن النظر اليه ، وبحركة لا ارادية اقتربت اكثر لكن هذا اتعبها واسقطها اعياءً ، ساعدتها صديقاتها خلال تلك الفترة لتسترجع قواها وبقت هي تردد كلمات لقمرها وترى صورته ونوره .

حينما افاقت من غيبوبتها ادركت انها ما زالت بعيدة وان عليها ان تقترب لكن الجميع حذرها ربما تموت وتنتهي اذا حاولت التحرك مجدداً

اما هي فلم تنتبه لكل ما يقال فلا ترى غير قمرها وكل ما يشغلها الان كيف تقترب وتصل اليه ، لتخبره انها ما احبت غيره ، فعلها ادهش الجميع وبعض الكواكب عرفت بأمرها الا القمر لم يسمع شيئاً عنها ، لتقترب استغرق الامر عمرا ومسافة ووقتا وبعدا عن اصدقائها النجوم ، عندما وصلت على مسافة قريبة منه ارادت ان يراها لكنه كان منشغلاً ملتفتا لأخرى ، كان القمر ينظر للشمس كما هي تنظر له ، فهمت نجمتنا انه يحب الشمس، وانها يجب ان لا تقترب اكثر!

ارادت ان تعود تمزق شيء داخلها اوجعها قلبها حد اللاحركة ، فلن ينفع شيء هي عاشقة وان حاولت ان تتقبل الامر وتكذب على نفسها ، روحها لن تكذب عليها ستصرخ انها محطمة متعبة جداً..

خلال هذا الوقت رأت القمر حزين زاد المها رؤيته هكذا ، بكت سمعها القمر وانتبه لوجودها لأول مرة يلاحظ وجودها في هذه الحياة ، سألها

- ما بكِ

فلم تجب

كرر السؤال ، ردت بوجع

-هناك كائن حزين كلما تألم يوجعني قلبي

رد عليها بأسف
- ومن هنا ليس حزينا؟
رفعت عينيها اتجاهه، كانت هذه المرة الاولى التي تراه فيها عن قرب ، شعرت كأن انفجارا حصل داخلها او خرابا او جيوشاً احتلتها ، كل ما في الامر انها لا تستطيع التحكم بنبضها وروحها .
سألته بارتباك وحروف مقطعة
- ما بك ؟
- انها بعيدة جداً ولا تفعل شيء لتقترب وان اقتربت انا وذلك لا يحصل الا نادراً تصرفت بخبث معي ، انها تحبني ولا تحبني ، لكن انا احبها ، انا لها مهما كان .
حطمها كلامه وبكل قوتها تحركت للابتعاد لكن المسافة ما زالت قريبة بينهما وهي المسافة التي عليها الى الان ، ارادت ان تختفي من حياته لكنها لا تستطيع الحركة اكثر ، لاحظ هو نفورها ومحاولة ابتعادها وكذلك لاحظ تعبها صرخ بها
- لا تتحركي ستنتهين
قالت بحزن
- انتهيت منذ زمن ومت منذ دقائق
قال متوسلاً
-لنصبح اصدقاء انا اتألم لوحدي ، اما اليوم انتِ جعلتني اقول ولو القليل واتخلص من حمل الكلمات والافكار ، انا احتاجكِ ، كوني صديقتي .
حينما رأت بؤسه وطلبه لم تستطع ان ترفض له شيئا فهي اساسا تحبه
بدمعها وافقت على ان تداوي جرحه ولينكسر قلبها وليكبر جرحها..!

الفهرست

١- بلا اسم او عنوان	٧
٢- قضية طلاق	١٩
٣- قصتي	٢٨
٤- برجل واحدة	٣٨
٥- انسة في الخمسين	٤٢
٦- سارقة الحلوى	٥٦
٧- حالة ولادة	٧١
٨- النظافة من الايمان	٧٧
٩-اب للإيجار	٨٤
١٠-سر اسطوانة سر (الانتحار)	٩٦
١١- نصف خريطة .. ووطن	١٠٤
١٢- ثرثرة بليغة	١٠٨
١٣- اظنه حلما	١١١
١٤- بطل	١١٦
١٥- تراب	١٢٢
١٦-سوء حب	١٥٥
١٧-رمح ونار	١٥٨
١٨-حمزة	١٦٩
١٩-مجتمع اصفر	١٧٧
٢٠-نجمتي المشرقة	١٨١

الايام لا تنصفنا هي فقط تسخر منا وتستغلنا لصالحها
لكي نعيش وتستمر هي
اما نحن نعتقد اننا نتغلب عليها بضحكنا ، بعملنا ، بحزننا او شقاننا وربما بغبائنا...
هذا ليس شينا سلبيا بل انه ايجابي ان فهمنا سر وجودنا جميعنا نمضي لا شيء يبقى عش حياتك لا تكابر فلن يخسر غيرك

٢٧ -١٠-٢٠١٧

مجرد كلمات كتبتها نور

جميع ابطال القصص زاروني
وطلبوا ان اكتب قصصهم
احدهم زارني ليلاً والاخر نهاراً
والكثير منهم فجراً
حتى اني لم استقبل البعض
لأني غالباً اكون نائمة
لكنهم وخاصة الموتى منهم
عادوا اكثر من مرة
دائماً يفاجئوني بمجيئهم من غير موعد!
هم احياناً يبدئون بسرد الحديث
من غير ان اسمح لهم
ولك ان تتخيل انت نائم
وشخص ينخر في رأسك !
لكني احبهم حقاً احبهم جميعاً
فأنا عادة احب كل من اكره.